

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة خميس مليانة
كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان :

السيرة الذاتية ، السيرة الغيرية ، قراءة في روايتي " مي
ليالي إزيس كوبيا ورواية سيرة المنتهى لواسيني الأعرج

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص : أدب جزائري .

إشراف الدكتور :

– بربارة مصطفى .

من إعداد الطالبتين :

- بن حاج جيلالي نوال .

- وعيل سعاد .

السنة الجامعية

2022 - 2021



كلمة شكر و عرفان


الحمد لله الذي أشرقت بنوره الظلمات ، وارتفعت بقدرته السماوات ، وخضعت

لسلطانه كل المخلوقات واجتمعت بجلاله كل الصفات .

فاللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك وصل اللهم وسلم على

سيدنا محمد عليه أزكى الصلاة والسلام .

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على إنجاز هذا العمل المتواضع ، ونخص بالذكر الأستاذ المشرف " **بربارة مصطفى** " الذي كان قدوتنا في هذا البحث ، والذي رافقنا طيلة رحلتنا الطويلة ، ولم يبخل علينا بنصائحه وإرشاداته القيمة . كما نتقدم بالشكر الجزيل لجميع الأساتذة في دائرة الأدب العربي وخاصة أعضاء اللجنة التي قبلت مناقشة هذه المذكرة .



إهداء

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى من أحمل اسمه بكل افتخار ، أرجو من الله أن يمد في عمره ، ليرى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار ، وستبقى كلماته نجوما أهتدي بها اليوم وغدا " أبي العزيز " .

إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب ، إلى معنى الحنان والتفاني ، إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي ، إلى من يعجز اللسان عن شكرها " أمي الحنون " أطال الله عمرك .

إلى إخوتي وأخواتي : بدءا بطيبة القلب ونسمة البحر " رفيقة " .

وإلى فانوس وأقحوانة المنزل " فتحة " .

إلى القلب الطيب والحنون " عبد الحق " .

إلى من يكمن سحره في شقاوته " عبد الرحمان " .

وإلى آخر العنقود ومسك البيت وريحانه توأمي " عبد الرزاق " .

إلى أختي التي شاركتني في إنجاز هذا العمل " سعاد " .

إلى طلبة السنة الثانية ماستر أدب عربي – دفعة 2022 –

وإلى كل من سعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي .

إهداء

أهدي هذه المذكرة التي تعد ثمرة جهدي إلى الوالدين العزيزين كانا نجوما
أضاءت دربي في هذه الحياة .

إلى أخواتي الثلاث : " فاطمة الزهراء " ، وأختي " سهام " ، وأختي " منال "
إلى أختي التي شاركتني في إنجاز هذا العمل " نوال "

مقدمة

تعد الرواية من أهم الفنون الأدبية النثرية ، التي أثارت إهتمام الدارسين في الآونة الأخيرة، نظرا لتناولها موضوعات تتعلق براهن الإنسان الاجتماعي والأخلاقي والسياسي والاقتصادي، مايفسر أنها تحمل وعيا بالحياة والتجربة الانسانية ، التي تعبر عن مشكلات الإنسان ، وتغطي حيز واقعه المعاش ، وتكشف عن جوهر وجوده وعلاقته بمجتمعه ، لذى تتعدى وظيفتها من إحداث المتعة إلى تقديم رؤية العالم .

فقد شهد الأدب العربي في العصر الحديث انساعا كبيرا في فنونه وأغراضه ، وتفاعل بشكل كبير مع آداب الأمم الأخرى ، كما دخل دائرة الإهتمامات الكبرى للنقاد والأدباء ، ومرد كل هذا ظهور فنون نثرية جديدة حظيت بإستقبال واسع لدى النقاد ، نذكر : القصة ، المسرحية ، المقالة، إضافة إلى الرواية التي اتخذ منها الكتاب وسيلة للتعبير عن آرائهم ، وعرضا للواقع الذي يعيشون فيه . كما نذكر فنين آخران مستحدثين وهما : السيرة الذاتية والسيرة الغيرية .

فالكتابة السيرية بأنواعها الذاتية والغيرية هي إحدى أبرز الإنتاجات الخطابية المتميزة والتي تقوم على مبدأ : الصراحة التامة والمكاشفة وقد تفرعت عن الرواية السيرية عدة أنواع ، غير أن السيرة الذاتية هي التي احتلت الصدارة في مجال الرواية السيرية ، سواء سيرة ذاتية محضة بمعنى المؤلف هو الشخصية البطلة ، أو سيرة غيرية يكتبها شخص عن شخص آخر ، أي المؤلف ليس هو الشخصية البطلة .

وعندما امتزجت الرواية بالسيرة جمعت بين ماهو واقعي وبين ماهو متخيل ، في قالب فني جديد سمي ب " الرواية السيرية " والتي تجلت في الرواية العربية بصفة عامة وفي الرواية الجزائرية بصفة خاصة .

وقد يعتبر التاريخ العمود الفقري من الرواية الأدبية فيتبع الروائي مبدأ الإختيار والأنتقاء ، فلا يأتي بجميع الأحداث والشخصيات بل يركز على أحداث وشخصيات بعينها ، كما يضيف إليها الخيال ويعمد على تكسير تراتبية الزمن التاريخي .

وتأتي أهمية هذا الموضوع هو أن السيرة الذاتية والغيرية من الأنواع الروائية المهمة التي استطاعت أن تفرض نفسها في الساحة الأدبية الجزائرية من أجل الكشف والإفصاح عن بعض الجوانب الخفية من حياتهم الشخصية وهذا ما نجده في الروايتين .

ومن هذا المنطلق إختارنا عنوان بحثنا " السيرة الذاتية والغيرية ، قراءة في رواية" مي ليالي إزيس كويبا "ورواية" سيرة المنتهى " لواسيني الأعرج ، وهذا يرجع إلى عدة أسباب ودوافع أهمها :

أولا – السعي إلى الكشف عن ما يميز الرواية السيرية ذاتية عن الرواية السيرية الغيرية .

ثانيا – محاولة البحث عن كيفية تصوير الذات في كل من الروايتين ، ومدى اقتربها من واقعه الشخصي .

ثالثا – أن كتابات واسيني الأعرج تتميز بالجودة والتنوع من حيث طريقة الطرح وتنوع الموضوعات والمضامين .

رابعا : رغبتنا في البحث حول هذا الموضوع لجدته والتشويق الذي يبثه في نفوسنا مما يجعلنا نشعر بنوع من اللذة والرغبة في الاستزادة .

وهو ما ساقنا إلى طرح عدة تساؤلات جوهرية نذكر أهمها :

- ما مفهوم الرواية والسيرة ؟

- فيم تتمثل نشأة السيرة الذاتية و ماهي أهم أنواعها ؟

- وما مفهوم السيرة الغيرية وماهي أهم الفروقات بينها وبين السيرة الذاتية ؟

- وماهي أهم العناصر التي إرتكز عليها واسيني الأعرج في الروايتين في مجال استظهار الذات ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات ارتأينا إلى تقسيم بحثنا هذا إلى : مدخل ومقدمة وفصلين وخاتمة

المدخل كان بعنوان : قراءة في المفاهيم والمصطلحات ، تطرقنا فيه إلى : تعريف السيرة لغة واصطلاحا و تعريف الرواية والترجمة ، والفرق بين السيرة والرواية .

أما الفصل الأول فيضم مبحثين ، المبحث الأول عنوانه : نشأة السيرة الذاتية وأهم أنواعها ، تناولنا فيه ثلاث مطالب ، درسنا في المطلب الأول السيرة الذاتية في الأدب الغربي ، وفي المطلب الثاني السيرة الذاتية في الأدب العربي ، أما المطلب الثالث فتناولنا أنواع السيرة الذاتية.

أما المبحث الثاني عنوانه : السيرة الغيرية وأهم أنواعها ، فتناولنا فيه ثلاث مطالب ، المطلب الأول مفهوم السيرة الغيرية وأنواعها ، وفي المطلب الثاني الفرق بين السيرة الذاتية والسيرة الغيرية ، أما المطلب الثالث تناولنا فيه الغاية من كتابة السير .

أما الفصل الثاني التطبيقي : وارتكزنا فيه على دراسة الروايتين وجاء معنون ب " قراءة في رواية " مي ليالي إزيس كوبيا ثلاثمائة ليلة وليلة في جحيم العصفورية " ورواية " سيرة المنتهى ... عشتها كما اشتهتني " لواسيني الأعرج . فقد قسمناه إلى مبحثين ، فجاء المبحث الأول تحت عنوان : قراءة في رواية " مي ليالي إزيس كوبيا " لواسيني الأعرج والذي تناولنا فيه خمس مباحث ، تطرقنا في المطلب الأول إلى مفهوم التاريخي والمتخيل وفي المطلب الثاني ركزنا على الشخصيات التاريخية والمتخيلة في رواية " مي ليالي إزيس كوبيا " ، وفي المطلب الثالث تطرقنا فيه إلى الأحداث التاريخية والمتخيلة في الرواية ، وفي المطلب الرابع درسنا فيه العنبات النصية في رواية " مي " ، أما المطلب الرابع تناولنا فيه تجليات التناص في الرواية

أما المبحث الثاني فكان عنوانه : قراءة في رواية سيرة المنتهى ... عشتها كما اشتهتني
لواسيني الأعرج ، وقسمناه إلى أربع مطالب ، ففي المطلب الأول تناولنا فيه الشخصيات
التاريخية والمتخيلة في رواية سيرة المنتهى ، أما المطلب الثاني تطرقنا فيه إلى الأحداث
التاريخية والمتخيلة في الرواية ، أما المطلب الثالث درسنا فيه العتبات النصية في رواية سيرة
المنتهى ، أما المطلب الرابع والأخير ركزنا فيه عن تجليات التناسل في الرواية .

ونهاية البحث خاتمة تعد خلاصة النتائج التي استوحيناها من هذه القراءة والدراسة للسيرة
الذاتية والغيرية للروائيتين " مي ليالي إزيس كوبيا " ورواية " سيرة المنتهى .

ولأن لكل رحلة بحثية منهجها ، فقد كان منهج بحثنا في هذه الدراسة المنهجين " الوصفي
والتحليلي " لأنهما يناسبان وصف الأحداث والأمكنة والشخصيات وتصويرها تصويراً جمالياً.

أما عن المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها أهمها :

- فيليب لوجون ، السيرة الذاتية والميثاق والتاريخ الأدبي .
- عبد الملك مرتاض في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد .
- تهناني عبد الفتاح شاکر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي .
- شرف عبد العزيز ، أدب السيرة الذاتية .
- عبد اللطيف الحديدي ، فن السيرة بين الذاتية والغيرية في ضوء النقد الأدبي .

واعترضتنا صعوبات أثناء خوضنا لهذه الدراسة المتواضعة منها :

- طول الروائيتين .
- كمية الدراسات الكثيرة في هذا الموضوع التي شكلت لنا عائقاً نوعاً ما في اختيار المعلومات
المناسبة .
- وصعوبة التفريق بين ماهو واقعي وماهو متخيل في الروائيتين .
- ورغم هذه الصعوبات التي واجهتنا ، ألا أننا استطعنا تجاوزها ، بفضل الله ، ثم نتقدم
بجزيل الشكر للأستاذ المشرف الدكتور " بربارة مصطفى " الذي لم يبخل بكل ما أتيح له من
مساعادات وتوجيهات وملاحظاته القيمة ، فقد كان خير معين ومحفز لنا لإنجاز هذا البحث
المتواضع ، وتقديمه بالشكل الذي انتهى عليه .

وأسأل الله عزوجل أن يعصم أقلامنا من الخطأ والخلط ، والله المستعان وعلي

مدخل : قراءة في المفاهيم والمصطلحات

1 - تعريف السيرة :

أ - لغة :

ب- اصطلاحا :

2 - تعريف الرواية :

أ - لغة :

ب - اصطلاحا :

3 - تعريف الترجمة :

أ - لغة :

ب- اصطلاحا :

4 - الفرق بين السيرة والرواية .

1- مفهوم السيرة :

أ - لغة: الضرب من السير والسيرة الكثير السر هذه عند ابن جني ، والسيرة السنة وقد سارت وسرتها ، قال خالد بن زهير وقال ابن بريء هو خالد ابن أخت أبي ذئيب يرسله ألى محبوبته فأفسدها عليه فعاتبه أبو ذئيب في أبيات كثيرة فقال له :

فإن التي فينا زعمت ومثلها لغيرك ولكنني أراك بجوارها
تنتقدها من عند وهب بن جابر وأنت صفي النفس منه وخيرها
فلا ينجو من سنة أنت سرتها فأول راض سنة من يسيرها

يقول أنت جعلتها سائرة في الناس ، وقال أبو عبيد ، سار الشيء وسرته فعمّ ، السيرة، الهيئة وفي التنزيل العزيز (سنعيدها سيرتها الأولى)، وسير سيرة أحاديث الأوائل وسار الكلام والمثل في الناس شاع ، ويقال هذا مثل سائر وقد سير فلان أمثالا سائرة وسائر الناس جميعهم ، وسار الشيء لغة في سائرة وساره جميعه ، يجوز أن يكون من الباب لسعة باب س ي¹ر ، أو أن يكون من الواو لأنها عين وكلاهما قد قيل ، قال أبو ذئيب يصف ضبيته ، وسؤد ماء المرد فاها ، فلونه كلون النؤور ، وهي أو ماء سار لها أي سائرها التهذيب ، وأما قوله "وسائر الناس همج " ، فإن أهل اللغة اتفقوا على أن معنى سائر أمثال هذا الموضع بمعنى الباقي من قولك ، أسارت القول وسؤرة إذا أفضلتها وقولهم سير عنك أي تغافل وإحتمل وفيه إضمار كأنه قال سر ودع عنك المرء والشك ، والسيرة الميزة والاستيار والإمتياز .(1)

في حديث حذيفة تسائر عنه الغضب أي سار وزال ، ويقال سار القوم يسرون سيرا أو مسيرا ، إذا امتد بهم السير في جهة توجهوا لها ، ويقال بارك الله في مسيرك أي سيرك ، قال الجوهري وهو شاد لأن القياس المصدر من فعل ، يفعل ، مفعل بالفتح والإسم من كل ذلك السيرة ، حكي اللحياني : "إنه لحسن السيرة " (2)

1- لسان العرب ، الإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري ، المجلد الرابع ، دارصادر ، بيروت ، دط ، دس ، ص 391-390-389

2- لسان العرب لابن منظور ، ص 426

ب - مفهوم السيرة اصطلاحاً :

تعني لفظة يسيرة حسب الإستعمال :

- أ- تاريخ الإنسان (مشهور عموماً) مروى من طرف شخص آخر وهو المعنى القديم والأكثر شيوعاً
 - ب- تاريخ أنسان (غامض عموماً) مروية شفويًا من طرفه لشخص آخر أثار هذا التاريخ من أجل دراسته (منهج السيرة في العلوم الإجتماعية)
 - ت- تاريخ أنسان مروى من طرفه لشخص أو أشخاص يساعده عن طريق سماعهم على التوجه في حياته (السيرة في تشكلها)
- ويرى فيليب لوجون بأنه كان عليه أن يأخذ بعين الإعتبار مثل هذه التعددية في المعنى أثناء استخدامه لفظة السيرة الذاتية ، التي أخذت من إنجلترا في بداية القرن التاسع عشر لتدل على معنيين متجاورين لكنهما مختلفان مع ذلك .

- المعنى الأول :

هو الذي اقترحه لاروس سنة 1866 "حياة فرد ما مكتوبة من طرفه " معارض السيرة الذاتية التي هي نوع من الإعتراف من المذكرات التي تروي أحداثًا يمكن أن يكون غريبة من السارد

- المعنى الثاني :

(وهو أكثر عمومية من الأول) وهو الذي يحدد السيرة الذاتية باعتبارها كل نص يبدو

ان مؤلفه يعبر فيه عن حياته واحساساته مهما كانت طبيعة العقد المقترح من طرف المؤلف وهذا المعنى هو الذي قصده قابيرو في المعجم الكوني للأدب 1876 الذي يقول فيه بأن السيرة الذاتية عمل أدبي ، رواية سواء كان قصيدة أم مقالة فلسفية ... إلخ ، قصد المؤلف فيها بشكل ضمني أو صريح إلى رواية حياته وعرض أفكاره أو رسم احساساته وتستنير القارىء بالطبع ، ما إذا كانت مقصدية المؤلف أم لا (1).

ويعكس هذا التعريف الثاني بروز طريقة جديدة للقراء فضلًا عن ظهور نمط جديد من الكتابة ، لذلك قابيرو يعلق على تعريفه بمصطلحات تهز كل دفاع عن المعنى المحدد ، تترك السيرة الذاتية مكانًا واسعًا للإستهام ، ومن يكتبها ليس ملزمًا بالبتة ، بأن يكون دقيقًا حول الأحداث كما هو الشأن في المذكرات ، أو بأن يقول الحقيقة المطلقة كما هو الشأن في الإعتراقات ، وهكذا تصبح السيرة الذاتية نوعًا قابلاً لإحتضان عدة نصوص لبدء من روسو إلى أفكار باسكال أو خطاب المنهج لديكارت ويلاحظ لوجون ، كيف أن المعنيين معًا المحدد والعام حاضرات في استعمال الكلمة حتى في الوقت الراهن ،¹

1- فيليب لوجون ، السيرة الذاتية والميثاق والتاريخ الأدبي ، ترجمة وتقديم عمر الحلي ، ط 1994 ، بيروت ، ص 10-11

ولعل نجاح مصطلح السيرة الذاتية مرتبط بالتوتر بينهما، وبالغموض والتردد الذي تسمح به الكلمة، بالإضافة إلى الفضاء الجديد للقراءة والتأويل الذي تجعله هذه الأخيرة ممكنا من الاستراتيجيات الجديدة للكتابة التي تسمى بها، وهنا يعترف الباحث بأنه استحق في السابق بالأشكال التي يمكن بأن تنهض من جراء اختيار المعنى، وتجاهل الثاني لأنه كان يعتمد بالأساس على النصوص المحكومة بميثاق سير ذاتي، يقترح فيه المؤلف خطابا حول الذات على القارئ، كما يقترح فيه تحقق خاصا لهذا الخطاب، يقوم على الإجابة عن سؤال: من أكون؟ بواسطة حكي يكشف كيف صرت كذلك؟ (1).

2- مفهوم الرواية :

أ - لغة :

إن الأصل في مادة " روى " في اللغة العربية هو جريان الماء أو وجوده بغزارة، أو ظهوره تحت أي شكل من الأشكال، أو نقله من حال إلى حال أخرى من أجل ذلك يطلقون على المزايدة الرواية، لأن الناس كانوا يرتوون مائها، ثم على البعير الرواية أيضا، لأنه كان ينقل الماء، فهو ذو علاقة بهذا الماء، كما أطلقوا على الشخص الذي يسقي الماء، هو أيضا، الرواية (2).

ثم جاءوا إلى هذا المعنى فأطلقوه على ناقل الشعر، فقالوا: " رواية : وذلك لتوهمهم وجود علاقة النقل أولا، ثم لتوهمهم وجود التشابه المعنوي بين الروحي الذي هو الإرتواء المعنوي من التلذذ بسماع الشعر أو استظهار بالإنشاد، والإرتواء المادي الذي هو اللعب في الماء العذب البارد الذي يقطع الظمأ، ويقمع الصدى، فالإرتواء أذن يقع بين مادتين اثنتين نافعتين تكون حاجة الجسم والروح معا إليهما شديدة، وإنما لاحظ العربي الأول العلاقة بين الماء والشعر، لأن صحراءه كان أعز شيء فيها هو الماء، ثم الشعر، وواضح أن أصل معنى "الرواية" في العربية قديمة إنما هو الإستظهار (3).

ويعرفها ابن منظور في لسان العرب إنها مشتقة من الفعل روى، من أين ريتكم؟ أي من أين ترؤن الماء؟، ويقال: روى فلان فلانا شعرا، إذا رواه له حتى حفظه للرواية عنه، وقال الجوهري: رويت الحديث والشعر رواية، فأنا راو في الماء والشعر، ورويته الشعر ترويه أي حملته على روايته، ورويته أيضا (4)

-
- 1- فيليب لوجون : السيرة الذاتية والميثاق والتاريخ الأدبي، ص 11-12 المزايدة = هي وعاء كالقربة يحمل فيها الماء عند السفر، ج مزاد، ومزاید ومزادات
 - 2- عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية " بحث في تقنيات السرد "، عالم المعرفة، دط، 1988، ص 22
 - 3- المرجع نفسه: ص 22
 - 4- ابن منظور : لسان العرب، ص 280-281

ب - الرواية اصطلاحاً :

الرواية: Roman بمعناها العام قصة نثرية طويلة تصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد معتمدة على السرد وعنصر التشويق (1) ،فهذا يعني أن الرواية قصة نثرية تنقل لنا أحداث وشخصيات من خلال الأحداث

يرى الدكتور مرتاض ،أنه من العسير إعطاء تعريف جامع مانع للرواية فهي تتخذ لنفسها ألف وجه ، وترتدي في هيئتها ألف رداء ، وتتشكل أمام القارئ ، تحت ألف شكل ، مما يعسر تعريفها تعريفاً جامعاً مانعاً ، ذلك لأننا نلغي الرواية تشترك مع الأجناس الأدبية الأخرى بمقدار ماتستميز عنها بخصائصها الحميمية وأشكالها الضميمة ، أما بالقياس إلى اشتراكها مع الحكاية والأسطورة ، فلأن الرواية تغترف بشيء من النهم والجشع من هذين الجنسين الأدبيين العريقين ، وذلك على أساس أن الرواية الجديدة ، أو الرواية المعاصرة بوجه عام ، لا تلغي أي غضاضة في أن تغني نصها السردى بالمأثورات الشعبية ، والمظاهر الأسطورية والملحمية جميعاً .

إن الرواية تشترك مع الملحمة في طائفة من الخصائص ، وذلك من حيث إنها تسرد أحداثاً تسعى لأن تمثل الحقيقة وتعكس مواقف الإنسان ،وتجسد ما في العالم ،ذلك لأن الرواية تستميز عن الملحمة ،يكون الأخيرة شعراً ، وتلك تتخذ لها اللغة النثرية تعبيراً ، وهناك تفاريق أخرى تتمخض لصميم الجوهر ، مثل أن الرواية لا تنهض على مبدأ تناول الأشياء الخارقة للعادة ، وهي الخاصة نفسها التي تتغذى منها الملحمة وتقوم عليها في بنائها العام¹(2).

يرى عبد الملك مرتاض أن الرواية هي جنس أدبي راق ، ذات بنية شديدة التعقيد ، مترابطة التشكيل ،تتلاحم فيما بينها وتتصافر لتتشكل لدى نهاية المطاف شكلاً أدبياً جميلاً ،يعتزي إلى هذا الجنس الحظي ، والأدب السري ، فاللغة في مادته الأولى ، كمادة كل جنس أدبي آخر في حقيقة الأمر ، والخيال هو الماء الكريم الذي يسقي هذه اللغة فتتمو وتربو ، وتمرع وتخصب ، والتقنيات لا تعدو كونها أدوات لعجن هذه اللغة المشبعة بالخيال ،ثم تشكلها على نحو معين ، ولكن اللغة والخيال لا يكفیان ، وهما عاملان في كل الكتابات الأدبية ، من أجل ذلك نلغي الرواية ، من حيث هي ذات طبيعة سردية قبل كل شيء ،تنشد عنصراً آخر هو عنصر السردى أي للهيئة التي تشكل بها الحكاية المركزية المتفرعة عنها حكايات أخريات في العمل الروائي (3). ونلاحظ من التعريف السابق أن الرواية بناء عضوي ، يتميز بطول حجمه ومنح اللغة أكبر قدر من الأهمية ، وعنصر الوهم والخيال اللذان يضيفان عليهما عنصر المتعة ، إضافة إلى السرد ،وهو الهيئة التي تشكل بها الحكاية الأساسية المتفرعة منها حكايات أخرى (4).

ويعرف هيجل الرواية ، على عهده ، بأنها "ملحمة حديثة بورتوجازية ،تعبّر عن الخلاف القائم بين القصيدة الغزلية ونشر العلاقات الإجتماعية (5).

1-عبد الملك مرتاض :في نظرية الرواية "بحث في تقنيات السرد " ،ص 11-12

2- ينظر ، المرجع نفسه ، ص 27

3- ينظر ،المرجع نفسه ،ص 26

4- ينظر ،المرجع نفسه ، ص 26

5- محمد بوزواوي ، معجم مصطلحات الأدب ، الدار الوطنية للكتاب والنشر والتوزيع ، دط ، ص 156

ولكننا نلاحظ أن تعريف هيجل ، يقدم الرواية على أنها ملحمة بورجوازية حديثة يجاريه فيه الناقد المجرى جورج لوكاكس ، الذي نجده يعقد فصلا في كتابه " نظرية الرواية " ، يقرن فيه بين الملحمة والرواية ، فنحن في الحقيقة ، لا تعيننا التعريفات الفلسفية والإيديولوجية المتسلطة على الأدب كثيرا

3- الترجمة مفاهيم عامة :

تعتبر الترجمة من أقدم النشاطات الإنسانية في تاريخ البشرية ، ذلك لأنها أقامت الجسور لتبادل المعلومات ، والمشاركة في عملية التفاعل الفكري والحضاري ، ومن يتأمل حركة الترجمة عبر تاريخها الطويل ، يدرك أنها تشكل استجابة لحاجات المجتمعات باختلافها ، في لم تعد مجرد نقل من اللغة إلى أخرى أو هوائية ، بل هي علم وفن ودراية ، لها فروعها ومباحثها واختصاصاتها .

لكنه ومنذ زمن بعيد وحتى الآن اختلف العلماء في تحديد مفهوم الترجمة ، لأنها وكما يجمع المهتمون بها ، ممارسة متعددة الأوجه .

أ - مفهوم الترجمة .

لغة: اتفقت المعاجم الفرنسية تقريبا على أن لفظة Traduction هي " نقل الكلام من لغة إلى أخرى " ، أما المعاجم العربية فقد تناولت هذا اللفظ على نطاق واسع ، وقد أجملت هذا المفهوم في دلالة الكلمة على أربعة معاني :

- ❖ -تبليغ الكلام لمن لم يبلغه مثل قول الشاعر :
 - إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان
 - ❖ تفسير الكلام باللسان الذي جاء به
 - ❖ تفسير الكلام بلسان غير لسانه ، قد جاء في لسان العرب لابن منظور "والرجمان :المفسر، وقد ترجم كلامه إذا فسره بلسان آخر ، ومنه الترجمان والجمع التراجم (1).¹
 - ❖ نقل الكلام من لسان إلى آخر .
- والملاحظ على كل هذه التعريفات أنها لم تبتعد عن معنى البيان والإفصاح أي كل ما يتبين به الشيء من الدلالة وغيرها .

ب - مفهوم الترجمة اصطلاحا :

تعددت تعريفات الترجمة من حيث الإصطلاح ، فقد عرفها الزرقاني ، بقوله : " الترجمة في العرف أي العرف بضم العين ، الذي تواضع عليه الناس جميعا " ، هي نقل الكلام بأنواعه

1- ابن منظور ، لسان العرب ، دار لسان العرب ، بيروت ، مادة ترجم

المختلفة من لغة إلى أخرى، ومعنى نقل الكلام من لغة إلى أخرى، التعبير عن معناه بكلام آخر في لغة أخرى مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده، كأنك نقلت الكلام نفسه من لغته الأولى إلى اللغة الثانية (1) ¹. ويرى غليسون وكوست في كتابهما:

Dictionnaire dedidactique des langues أن لفظة Traduction تعني تأدية أو تفسير علامات لغوية بواسطة علامات لغوية أخرى (2)، وهناك الكثير من التعريفات والتفاسير المختلفة لمفهوم الترجمة، تتراوح بين النظريات التي تتناول الفعل الترجمي بالدراسة.

4 - الفرق بين السيرة الذاتية والرواية :

السيرة الذاتية هي جنس أدبي قائم بذاته ظهر بعد الرواية وقد خلق تداخل بين هذين الجنسين وتشابه، لذا فمن الصعب وضع خط فاصل بينهما

فالحقيقة إن العلاقة بين السيرة الذاتية والرواية " هي علاقة ملتبسة وخلافة بين جنسين سرديين كثيرا ما تقضي التفاعلات بينهما إلى نصوص ابداعية متميزة (3).

فكلا هذين الجنسين له خصوصية تجعل منه كيانا مستقلا، يستحق الدراسة والتحليل وخاصة بعد ظهور أجناس أدبية وسيطة بين الرواية والسيرة الذاتية، شأن رواية السيرة الذاتية Roman outobiographique، والسيرة الذاتية الروائية Auto romancee biographie

فمن خصائص الرواية، أنها عمل نثري قوامه الخيال، تقوم على فكرة الصِّراع طويلة الحجم، ولكن دون طول الملحمة غالبا، تجمع بين اللغة الشعرية الملحمية واللغة العامية، كما أنها تقوم على التنوع، وتعدد أنماط الشخصيات، في حين يربطها سارتر بالتاريخ لأنه يرى أن التاريخ والرواية مترابطان ترابطا عضويا، وهي الصورة التي كانت الرواية عليها لدى بالزاك (4).

وهناك من يرى أنها عموما الجنس الأكثر تحررا، لأنه جنس غير مكتمل لا حدود له،... فهو جنس ما ينفك يجهز على الأجناس التقليدية ليجعلها في خدمته، فقد تخطت الرواية قوانينها وأدواتها لتستعير من الأجناس الأدبية الأخرى تقنياتها وأدواتها (5)، بما فيها السيرة الذاتية.

فالسيرة الذاتية هي الأخرى، لم تعد تقف عند تلك الحدود التي ألفناها فيها في بداية نشأتها بصفتها نصا سرديا يستند على التاريخ والواقع، بل صارت تنزاح إلى معانقة أفق الخيال والوهم والإختلاف والإنتقاء والحذف والمجاز والإستعارة والترميز، والكذب مع مصداقية

-
- 1- الزرقاني محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر القاهرة (دون تاريخ)، دت، ص 2
 - 2- Galisson R. et coste D. Dictionnaire de didactique des langues . paris :Hachette ... (1976) .
 - 3- ساميا بابا، مكون السيرة الذاتية، عمان، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، 2011، ص36
 - 4- عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 240، 1998، م، ص 15.
 - 5- ينظر، المرجع نفسه، ص 11

التجربة الفنية ، وأدبية الجملة وشاعرية دلالاتها ، وحقائيق عناوينها ، وأسطرة متنها وما ينضوي تحت هذه التيمات وغيرها (1)⁴، لتكون بذلك قريبة من الرواية .

ولعل تماهي وتداخل هذين الشكلين أدى إلى صعوبة وجود تعريف مقنع ونهائي يميز بينهما ، فقد نجد عنصرا مفارقا في علاقة هذا الجنس بالجنس الآخر ، ولكن الحدود الفاصلة قد لا تبدو مطلقة ونهائية ، لا في أسلوب ولا في الشكل ، هذا ما جعل فيليب لوجون يعترف بنقص تعريفه الأول ، قائلا : " غير أن الحد الذي وضعته كان يترك عددا من القضايا النظرية معلقة ، وقد أحسست بالحاجة إلى تهيئته وضبطه بمحاولة العثور على مقاييس أكثر دقة ، لم يكن لي بدا من أن أصادف في طريقي المناقشات الكلاسيكية التي يثيرها نوع السيرة الذاتية دائما ، مثل العلاقات بين السيرة والسيرة الذاتية والعلاقات بين الرواية والسيرة الذاتية ، وهي قضايا مقلقة بسبب تكرار البراهين وبسبب الغموض الذي يكتنف المصطلح المستعمل " (2) .

في حين ردّ جورج ماي إشكالية ضبط المفهوم ومراجعات فليب لوجان إلى تعالق السيرة الذاتية ببقية الأشكال الإبداعية عامة والسردية منها خصوصا ، نظرا لتماماتها وتناسلها والعلاقات الجدلية المتشابكة التي تربطها ببعضها ، مما يجعل إمكانية الفصل بينها أمرا مستعصيا (3) ، وهي مبررات مقبولة إلى حد كبير تؤشر إلى هشاشة التعاريف ، والمعايير الفاصلة بين الأجناس السردية .

ومن هنا يتضح أن السيرة الذاتية نص يحاكي كل النصوص ، وبنية تدمج فيها كل الأنواع والأجناس الأدبية خاصة الرواية ، التي رأى باختين أنها البوتقة التي تنصهر فيها كل أنواع الفنون ، لأنها تسمح بأن تدخل إلى كيانها جميع أنواع الأجناس التعبيرية ، سواء كانت أدبية أو خارج أدبية ، فنظريا أي جنس تعبيرية يمكنه أن يدخل إلى بنية الرواية ، وليس من السهل العثور على جنس تعبيرية واحد لم يسبق له ، في يوم مالم يلحق بالرواية (4).

أجمعت كل التعاريف السابقة وغيرها أن السيرة الذاتية مهما كان شكلها وقالبها فإن في مضامينها تتعلق ب حياة الشخص وواقعه ، وتجسدها كما هي ، إذا هي ترتبط بمفهوم الصدق والتقرير الصريح المباشر، مقابل أن الرواية نص نثري تخيلي ، واقعي غالبا يدور حول شخصيات متورطة في حدث مهم ، وهي تمثيل للحياة والتجربة ، فالرواية تصور الشخصيات ووظائفها داخل النص ، وعلاقتها فيما بينها ، وسعيها إلى غايتها... (5) ، فهي فن يبحر فيه الراوي بأحاسيسه وبخياله وينسج فيه عالما أراده هو ، لكنه يعبر عن الحقيقة وعن معيار الصدق

1- ينظر : حسين المناصرة ، وهج السرد (مقاربات في الخطاب السردية السعودي) ، إربد ، عالم الكتب الحديثة ، 2009 م ، ص 95 .

2- فيليب لوجون ، السيرة الذاتية : تر عمر حلي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء - المغرب ، ط1 ، 1994 م ، ص 21 .

3- عمر منيب إدليبي ، سرد الذات (فن السيرة الذاتية) ، دائرة الثقافة والإعلام ، الشارقة الإمارات العربية المتحدة ، ط1 ، 2008 م ، ص 31 .

4- نقلا عن ليندة خراب ، تناص التراث الشعبي في الرواية ، (مخطوط ماجستير) ، جامعة قسنطينة ، 1998 م - 1999 م ، ص 07 .

5- لطيف زيتوني ، معجم مصطلحات نقد الرواية ، عربي ، إنجليزي ، فرنسي ، مكتبة لبنان ناشرون ، دار النهار ، ط: 01 ، 2002 م ص : 97 .

إلا أن نقطة الإختلاف بينهما تكمن في طبيعة هذه الشخصية البطلية ، ففي الأولى - الرواية - شخصية خيالية يصطنعها الروائي ليحْمَلها أداء أدوار معينة في الحكى وفق ما يرومه ، أما في الثانية - السيرة الذاتية - فالشخصية البطلية مرتبطة إرتباطا وثيقا بمدون السيرة ، فحتى ولو مارس التضليل من خلال المزج بين الحقيقة والخيال متعمدا خرق ميثاق الصدق والأمانة عن قصد أو غير قصد ، فإنه يبقى أسير ذلك التطابق بين الكاتب والشخصية الرئيسية والسارد ، والذي أرساه كاتب السيرة من خلال العقد السَّير الذاتي .

وتختلف الرواية عن السيرة الذاتية من ناحية الزمان والمكان ، الذي يكون فيه نوع من الإلتزام والتحديد في السيرة الذاتية ، أما الرواية فيستطيع الراوي أن يجعله ممتدا قرونا طويلة من الزمن (1) ¹، ومنه فالسيرة الذاتية هي حكي إسترجاعي لأحداث وقعت في الماضي ، تتمحور حول شخصية رئيسية ، بينما الرواية هي تصور لحياة متطورة ونامية (2) .

نلاحظ أن الكُتَّاب إستفادوا من هذه العلاقة الموجودة بين السيرة الذاتية والرواية ، لأنها تتيح لهم الفرصة بكتابة ما مروا به في حياتهم من أحداث وأزمان وغيرها في قال روائي ، أو على شكل رواية لكنها تتطلب الخبرة الفنية وبراعة الكتابة .

ومن ناحية أخرى يقول : فيليب لوجون : " لقد دفعتني ملاحظاتي حول التطابق إلى تمييز رواية السيرة الذاتية عن السيرة الذاتية بالخصوص ، أما بالنسبة للتشابه ، فإن ما سيكون من الواجب تحديده هو التعارض مع السيرة (3) .

والمقصود هنا هو أن مصطلح رواية السيرة الذاتية قريب جدا من مصطلح السيرة الذاتية ، وهذا الأخير قريب من كلمة السيرة ، وهذا نجد تشابه يؤدي إلى غموض وخط . فنجد (جورج علي) ، يرى أن الرواية استثمرت ضمير السرد المتكلم (أنا) ، حيث نجد كثيرا من الروايات سارت على نهج السيرة الذاتية من خلال الشخصية المركزية ، وهذا أكبر تقارب بينهما (4) .

-
- 1- ينظر : تهاني عبد الفتاح شاکر ، السيرة الذاتية وملامحها في الأدب العربي المعاصر ، دار فارس للنشر والتوزيع ، عمان ، ط : 2002 ، ص 22
 - 2- ينظر : ساميا بابا ، مكنون السيرة الذاتية في رواية حكاياتي شرح بطول لحنان الشيخ ، دار غيداء ، ط: 01 ، 2012 م ، ص : 36 .
 - 3- فيليب لوجون ، السيرة الذاتية والميثاق والتاريخ الادبي ، ص:52 .
 - 4- ينظر : جورج ماي ، السيرة الذاتية ، تر : محمد القاضي ، عبد الله صولة ، بيت الحكمة ، تونس ، 1992 م ، ص 189 .

الفصل الأول :

المبحث الأول : نشأة السيرة الذاتية وأهم أنواعها .

المطلب الأول: السيرة الذاتية في الأدب الغربي .

المطلب الثاني : السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم والحديث .

المطلب الثالث : أنواع السيرة الذاتية .

1 - نشأة السيرة الذاتية عند الغرب :

ويعترف فيليب لوجون أن بذور السيرة الذاتية قديمة جدا ، في الحضارات الإنسانية ، ولكنه مع ذلك يرفض الدراسات التي تحاول أن تتناول السيرة الذاتية ، منذ نشأتها الأولى ، ثم تتبع تطورها حتى تصل إلى العصر الحديث ، ويفضل أن يحصر الباحث دراسته في قرون معينة حتى يتوصل إلى نتائج دقيقة (إن الأبحاث ذات النمط السلالي التي تعزل عنصرا ملاما في الوقت الراهن من أجل تتبع آثاره بالرجوع إلى التاريخ لها إذن طابع وهمي) .

أما الذين قالوا إن السيرة الذاتية حديثة النشأة فمن أشهرهم جورج ماي ، يرى جورج ماي أنه من الصعب تعريف السيرة الذاتية ، وذلك لأن (هذا الجنس الأدبي حديث نسبيا بل لعله أحدث الأجناس الأدبية) .

ويؤرخ لنشأة السيرة الذاتية " بإعترافات روسو " التي كتبها في نهاية القرن الثامن عشر ، لكنه يرى أن إعترافات روسو هي النموذج الذي أصبح يحتذى في مجال السيرة الذاتية ومن أشهر الإعترافات التي سبقت اعترافات جون جاك روسو (1712 - 1778) ، إعترافات القديس " أوغسطين " ، التي يرى " وليم سبينج مان " ، أنها شكلت الإرهافات الأولى لنشأة ثلاثة أشكال السيرة الذاتية ، وهي: الأشكال التاريخية والفلسفية والشعرية .

ويرى عبد العزيز شرف (أن إعترافات القديس أوغسطين " 354-430م) ، تستحق لقب أقدم سيرة ذاتية باقية (1)¹.

ونستطيع أن نلاحظ أن إعترافات القديس أوغسطين سبقت إعترافات روسو بقرون عدة ، لذلك لا يمكن الأخذ برأي جورج ماي وذلك لأن حجته في إثبات رأيه واهية ، فجورج ماي يرى أن بداية قبول هذا الجنس الأدبي جاء بعد اعترافات جون جاك روسو ، لذلك يجب ربط نشأته بها ، (وعلى هذا النحو يكون تاريخ السيرة الذاتية مرتبطا بروسو ، لأن اعترافاته مثلت بداية الوعي بهذا الفن الإنشائي وكانت فاتحة قبول هذا الجنس الأدبي الوليد في معبد الأجناس الأدبية على حد عبارة جورج ماي) . (2)

ونجد أن شكري المبخوت يتعلل أحيانا في أن السيرة الذاتية بناءً فنيا خالصا ، وهو البناء لم يتحقق قبل إعترافات روسو ، ولكنه في الواقع عندما يقول ذلك لا يكون دقيقا ، لأننا إذا أردنا التعامل مع السيرة الذاتية بمعناها الدقيق تختلف من الإعترافات ، فا الإعترافات تشعرنا أن صاحبها يريد أن يتحدث بالدرجة الأولى عن أخطائه وذنوبه ، وأما السيرة الذاتية فهي تهتم بحياة الإنسان في جميع جوانبها ، وبذلك يصبح من الأدق أن تخرج إعترافات أوغسطين وروسو من باب السيرة الذاتية ولكننا لا نتعامل مع هذه الأعمال الأولية .

1- السيرة الذاتية في الأدب العربي ، فدوى طوقان ، جبرا ابراهيم جبرا وإحسان عباس نموذجا تهاني عبد الفتاح شاکر ، الأردن ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، ط1 ، 202 ، ص 28 .

2- المرجع نفسه ، ص 29 ، 30 .

بهذه الطريقة إذ أننا لا نستطيع أن نعدّها خطوات في سبيل الوصول إلى السيرة الذاتية بشكلها المعاصر ، وحتى لو إفترضنا أن الإعرافات التي كتبها أوغسطيس في نهاية القرن الرابع الميلادي ، كانت بعيدة عن الشكل الفني للسيرة الذاتية ، فإننا لا نستطيع أن نتغاضى عن كثير من الأعمال ذات الصلة الوثيقة بالسيرة الذاتية التي كتبها أصحابها بعد أوغسطيس وقبل جون جاك روسو ، ومثال ذلك ماورد في الموسوعة البريطانية من أن السيرة الذاتية ، بدأ ظهورها في عصر النهضة وتحديدا في القرن الخامس عشر ... على يدي إمراة حاملة الذكر وهي السيدة مارغري كامب ، التي دونت في مرحلة متأخرة من عمرها تفاصيل حياتها .. وتطرقّت فيها إلى تجاربها في الدين وإلى علاقاتها الشخصية والإنسانية بأسلوب أثر في كثيرين وجعل منها شخصية متميزة في ذلك العصر ، وقد كانت مارغري كامب تعيش في انجلترا وبعدها توالّت السيرة الذاتية في الأدب الإنجليزي والإيطالي في القرن السادس عشر والسابع عشر ، وفي نهاية القرن الثامن عشر أي حوالي 1797 ظهر لأول مرة مصطلح السيرة الذاتية (1) .¹

ولعل ما أغرها بعض الباحثين بالقول بحداثة السيرة الذاتية هو حداثة ظهور المصطلح الخاص بها ، ولكن عدم وجود مصطلح السيرة الذاتية في المرحلة المبكرة من نشأتها ، لا يدل على عدم وجود أنماط منها أو أصول لها ، ومما لا شك فيه أن القرنين التاسع عشر والعشرين ، قد شهدا تطورات لمسيرة فن السيرة الذاتية ، هذا فيما يتعلق بنشأة السيرة الذاتية في الأدب الغربي ، أما في الأدب العربي ، فإن جورج ماي وشكري المبخوت ، لا يعترف بوجود أصول لهذا الفن في الأدب العربي ، إذ أن شكري المبخوت ينقل قول جورج ماي ، بأن السيرة الذاتية شكل من أشكال التعبير خاص بالثقافة الغربية ، ويعلق عليه بقوله : (وكل من يكتب السيرة الذاتية من غير الغربيين إنما هو مقلد لهم متأثر بثقافتهم) . ومما لا شك فيه أن الكلام بعيد عن الدقة والدراسة الموضوعية لأن أصول السيرة الذاتية موجودة في الأدب العربي ، منذ القرن الأول الهجري ، السابع الميلادي ، وفي العصر الحديث تأثر كتاب السيرة الذاتية بما جاء في الأدب الغربي ، لكنهم في الوقت نفسه لم ينسلخوا عن تراثهم العربي . (2)

ومن الجدير بالذكر أننا لو أخذنا بما جاء في الموسوعة البريطانية ، من أن أول نماذج السيرة الذاتية ظهر في الغرب في القرن الخامس عشر الميلادي ، فإننا سنتوصل إلى أنها نشأت عند العرب قبل عند الغرب ، وهذا الرأي وارد من بعض الباحثين منهم " لويس بوزويه " الذي يقول : (ربما كان كتاب الإعتبار لأسامة بن منقذ في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي ، وكتاب التعريف لابن خلدون في أواخر القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي أقرب الأثرين في القرون الوسطى إلى الفن المذكور ، بمعناه الإصطلاحي المحصور .

ومن الجدير بالذكر أن هذا الفن لم ينتشر كثيرا في الأدب العربي إلا مؤخرا في القرنين السابع والثامن عشر الميلادي ، ومن الذين قالو بهذا الرأي أيضا ، محمد عبد الغني الذي يقول : (وظلت أوروبا عقيما في كتابة التراجم منذ عصور الظلام خدمت عليها في القرون الوسطى ،

1- السيرة الذاتية في الأدب العربي فدوى طوقان ، جبرا ابراهيم جبرا ، إحسا عباس أنموذجا ، تهاني عبد الفتاح شاکر ، ص 31 .

2- المرجع نفسه ، ص : 32

على حين أخذ التاريخ الإسلامي ، بأخذ مكانة في الوجود ، وأخذت التراجم تظهر منذ القرن الثاني الهجري ، ثم أخذت على توالي العصور تكثر بأنواعها ، ويتضخم عددها (1).¹ وأجد نفسي أميل إلى هذا الرأي الذي يرى أن السيرة الذاتية نشأت عند العرب قبل الغرب ، لكنني لا أنكر أنها تطورت في العصر الحديث عند الغرب قبل العرب .

2- السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم والحديث :

أ- السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم :

أول مشكلة نجدها عند كل كاتب السيرة ، هي : الأسلاف احتجوا خلف ما كتبوا ، وقد يذكر ، أن بعض الطوائف يحتجون خلف اعترافاتهم العقلية ، وهنا تبرز سيرة ابن سينا القصيرة ، لكن الغنية تجربتها المعرفية (2) .

ولا شك في تلك بأن الشخص العربي كان يمدح قبيلته على كل حال ، وكان الشخص العربي يلتزم قرارات قبيلته مهما كانت الظروف ، وهذا ما يميزه قول دريد بن الصمة :
وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد (3).

اختلف الباحثون في تقييم السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم ، فانقسموا إلى فريقين : فريق راض ، بل معجب بما وصل إليه أدب السيرة الذاتية من تطور على أيدي العرب ، وفريق مهاجم مذكر – أصلا – وجود مثل هذا اللون في الأدب العربي (4) .

ويمكن تلخيص أفكار الفريق الأول في أن نزعة التعبير عن الذات قديمة في الأدب العربي ، وتعود إلى العصر الجاهلي ، وأن تلك النزعة هي التي أوجدت الشعر الغنائي الذي يمكن عده مهد السيرة الذاتية ، حتى أن العرب سبقوا الغربيين في هذا اللون من الكتابة ، فما أكثر الأخبار التي وصلتنا من الجاهليين ، يعبر فيها العربي عن نفسه ، مفاخرا بأصالة نسبه وشجاعته وكرمه ، وعندما جاء الإسلام إكتسى تاريخ الأشخاص معنى أخلاقيا دينيا ، وبعد ذلك سارت السيرة الذاتية سيرا متطورا فتتوعدت طرائقها ، وتعددت مظاهرها وتشبعت مراميها .

أما الفريق الثاني ، فيمثله عدد من المستشرقين ومن نحا نحوهم من العرب ، ونخص منهم بالذكر الدكتور (عبد الرحمان بدوي) ، الذي لخص وجهة نظرهم في كتابه المعروف (الموت والعبرية) ، إذ أنكر على العرب قدرتهم على الإبداع في فن السيرة الذاتية ، لأن الشعور

1 – السيرة الذاتية في الأدب العربي ، فدوى طوقان ، جبرا ابراهيم جبرا ، إحسان عباس أنموذجا ، تهاني عبد شاکر ، ص 33
2-محمد صابر عبيد : السيرة الذاتية الشعرية قراءة في التجربة السيرية شعراء الحداثة العربية (عالم الكتب الحديث ، إربد ، العراق ، ط1 ، 2008 ، ص:4
3-دريد بن الصمة ، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، دار الكتب العربية ، بيروت ، ط1 ، ص : 577 .
4-جانجي ، موريس : السيرة الذاتية وإشكالاتها ، شؤون أدبية : العدد 6 ، سنة 1988 ، ص 75 .

بالشخصية الذي لا غنى عنه ، في كل ترجمة ذاتية ، هو شعور غامض بعض الغموض ، مضطرب ، قد خلا من القوة والوضوح عند العرب (1) ، وأن الكتاب في العربية الذين كتبوا في هذا الباب قليلون ، وأن أغلبهم ليسوا عربا خلصا ، بل ينتسبون إلى الجنس الأري من فرس موال على إختلاف أجناسهم (2) ¹.

والشعر كذلك إستطاع أن يشتمل على سيرة ذاتية وإن كانت غير واضحة ، أما بالنسبة في العصر الإسلامي ، فإن أول قطعة وصلت إلينا هي ما رواه سليمان الفارسي (ت- 36 – 656 م) عن نفسه ، وهذه القطعة ذكرها الخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد ، وأسندها إلى ابن عباس ، حينما يذكر فيها السيرة الذاتية عن نسبه ، وهذه القطعة قد تعتبر أول بذرة للسيرة الذاتية في القرن الأول ، وبعد ذلك نجد باقة من قطع السيرة الذاتية ، متناثرة في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ماتتعلق بسيرة الشاعر الأموي نصيب بن رباح ، وسيرة إبراهيم الموصلي (ت – 177 هـ) وإسحاق ابن ابراهيم الموصلي .

وبعد كتاب الأغاني قد وجدنا السيرة الذاتية في كتاب آخر هو : عيون الأنباء في طبقات الأبطال لموفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي – المعروف باسم ابن أبي أصيبعة (توفي قرابة عام 1269) ، فقد ورد فيها سيرة ابن إسحاق وابن الهيثم (3)

وذكر إحسان عباس في كتابه فن السيرة ، أن ابن الهيثم (ت 430 هـ) ، كان صريحا في سيرته إلى درجة تضر بسمعته بين الناس (4) ، كما أن ابن الهيثم شغل منذ أول أمره باختلاف الفرق ، وقد اهتدى بفطرته إلى أن الحق بين الطوائف والملل والمذاهب ، إنما هو في طريق الوصول إليه ، وإقتنع بأن معرفة الحق هي التي تقربه إلى ربه ، بعث عزيمته إلى هذه المعرفة التي لا تنال إلا بالعلم ، وبذلك تحدد وسيلته وغايته (5) .

ومع انتشار الإسلام ، واتساع رقعته وبداية ظهور الترجمة عن اللغات الأخرى إزدهرت الكتابة العربية بأنواعها ، وبدأ يظهر على السطح عدد من الكتاب الذين بدأوا يتحدثون عن غيرهم ، فبدأت تتسع رقعة السير ، وأخذت تعمر بما يدور في النفوس .

فوجد أن أول محاولة واضحة المعالم في كتابة السيرة الذاتية في الأدب العربي ، تعود إلى القرن الثالث الهجري ، على يد حنين بن إسحاق الذي يعد أكبر مترجم لكتب (غالينوس) ، معبرا عن مدى حزنه .

1- بدوي عبد الرحمان : الموت والعبقرية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1945 ، ص 50 .

2- المرجع نفسه ، ص : 51 .

3- تهاني عبد الفتاح شاكر : السيرة الذاتية في الأدب العربي ، فدوى طوقان ، ص : 37 .

4- تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، ص : 136 .

5- شوقي ضيف ، الترجمة الشخصية ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 4 ، 1978 ، ص : 17 – 18 .

ب-السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث:

أما في العصر الحديث فنجد هذا الفن السير الذاتية في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، بعد حملة بونابرت على مصر في سنة 1797 الميلادية (1) . وسلك المحدثون على طريقة قدمائنا في الترجمة لأنفسهم ، بعد الإطلاع وإتقان من اللغات الأجنبية عند العرب (2) وفي هذا المنطلق يكتب محمد بن عمر التونسي (ت – 1857 م) في كتابه " تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان عام 1832 م) ، ويحتوي مقدمة هذا الكتاب سيرة المؤلف نفسه ، ثم تحدث عن الوظائف التي شغل بها ، ثم تحدث عن رحلته إلى بلاد السودان (3) .¹

وكتاب تلخيص الإبريز لرفاعة الطهطاوي (ت – 1873) فقد يعده الباحثون من الكتب الأساسية في فن السيرة الذاتية ، والحقيقة بأن هذا الكتاب كان محتجبا عن عيون الناس ، وغرض رفاعة الطهطاوي من هذا الكتاب ، هو ذكر رحلة إلى فرنسا وهذا قد يفيد للدارسين الذين سوف يسافرون إلى فرنسا أو إنجلترا(4) .

وفي رأي إحسان عباس (ت – 2003) ، حول الكتاب (الأيام) لطف حسين (ت-1973) ، هو أول كتاب في السيرة الذاتية ولا يتسابق معه كتاب آخر من أدبنا العربي ، وله مميزات عديدة منها : الطريقة البارعة في القصص ، والأسلوب الجيد ، وكذلك العاطفة المكونة ، والقدرة على السخرية (5).

وكذلك نجد السيرة الذاتية لابن الحزم الأندلسي (ت – 456) في كتابه طوق الحمامة في الألفه و الآلاف ، ويتزين الكتاب بالأحداث التاريخية وقد يتصور القارئ بأن أمامه يجري الحوادث مثل الأقلام الجارية على الشاشة (6) .

ونحن نرى في العصر الحديث بعض الثائرين ينسجون ترجمتهم في نسيج قصصي ، منهم : اجمع ذلك في كتاب الشدياق (ت – 1887 م) ، وتوفيق الحكيم (ت-1987 م) ، والجدير بالذكر أن طح حسين تأثر من روسو (ت-1778م) وإعترف بالصرامة (7)، بيد أن طه حسين قد أبدع في هذا الميدان وفي مجال النقد الأدبي مع ذلك موهوبا في مجال القصة والرواية (8) .

1 - تهاني عبد الفتاح شاكر : السيرة الذاتية في الأدب العربي ، فدوى طوقان ، ص 67 .

2- شوقي ضيف ، الترجمة الشخصية ، ص 105 .

3-تعتبر أول سيرة ظهرت في العصر الحديث، فيها تنقلات الشدياق وبعض أحواله ،راجع ذلك في كتاب إحسان عباس في 4

4 -فن السيرة ،ص: 130 .

5-تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي : ص 70-71 .

6-إحسان عباس ،فن السيرة ، دار صادر بيروت ، ط1، 1996 ، ص: 132 .

7 -خالد الكركي : طه حسين روائيا ، مكتبة الرائد العلمية ،دار الجيل ،بيروت ،لبنان ، ط1 ، 1992 ، ص : 113 .

8 - المرجع نفسه ،ص: 115.

وكذلك قد تأثر أحمد أمين بكتاب "الأيام" ومشى على منواله طه حسين ، حينما كتب سيرته " في حياتي " ، وليس سبب التأثر هو شهرته الأدبية فحسب ، بل أثرت شخصيته في نفسه (1)

أما الكتاب " حياتي " لأحمد أمين (ت-1954م) قد يمثل فيه العلاقات الخارجية بالناس والأماكن يميل إلى ذكر الحقيقة وأسلوبه جميل وإخباري ومرتبط بين السيرة الذاتية والتاريخ ومبتعد عن الناحية الفنية ، وكذلك نجد في العصر الحديث أيضا في أدبنا السير ذاتية لأديب توفيق الحكيم في كتابه " رواية عصفور من الشرق " (2).

أما عباس محمود العقاد (ت-1964 م) فنراه مختلفا في أسلوبه في كتابة سيرته الذاتية ، وإختلف إختلافا تاما عن طريقتي وأسلوب طه حسين وأحمد أمين ، نجد عند العقاد أسلوبا تحليليا تفسيريا ، وهو تعود عليه وكتب مقالاته على هذا الأسلوب (3) .¹

وكذلك نلاحظ فيه إختلاف البناء الفني أيضا بين طريقة طه حسين ، وأحمد أمين (4) .

3 - أنواع السيرة الذاتية :

والآن نخرج من إطار السيرة الذاتية ونتكلم عن أنواع متشابهة لها وهي :

التاريخ ، واليوميات ، والمذكرات والإعترافات والقصة والرواية .

أ - السيرة الذاتية والتاريخ :

السيرة الذاتية تمشي إلى جانب التاريخ جنباً بجنب ، تنشأ وتشب في حضن التاريخ ، وهي تتحدث عن فرد منذ ولادته ونموه وتعليمه وتربيته إلى لقاء ربه تعالى ، كما ذكرنا سابقا عن تعريف لوجون فنلاحظ بأن السيرة الذاتية لم تغفل عن التاريخ ، بل يمشي مع جانب صاحب السيرة والمؤلف يكتب كلما وجد معه أو مع صاحب سيرة غيره .

كما يذكر إحسان عباس هذه العلاقة الوطيدة بين السيرة الذاتية والتاريخ إذ يقول : كلما كانت السيرة تعرض للفرد في نطاق المجتمع ، وأعماله متصلة بالأحداث العامة ، أو منعكسة منها ، أو متأثرة بها ، فإن السيرة تحقق غاية تاريخية (5) .

ولكنه يضيف : وكلما كانت السيرة تجتزئ بالفرد ، وتفصله عن مجتمعه ، وتجعله الحقيقة الوحيدة الكبرى ، وتنظر إلى كل ما يصدر عنه نظرة مستقلة ، فإن صلتها بالتاريخ تكون واهية ضعيفة (6) .

1- مصطفى الصاوي الجويني ، في الأدب العالمي ، القصة ، السيرة ، الرواية (منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ط2، 2002، 1، ص: 189 .

2- إحسان عباس ، فن السيرة ، ص 135 .

3- تهباني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، ص 20 .

4- المرجع نفسه ، ص 81 .

5- عباس إحسان ، فن السيرة ، ص: 11 .

6- المرجع نفسه ، ص: 7 - 11 .

كما ادعينا بأن السيرة الذاتية والغيرية كليهما يمشي مع التاريخ جنباً بجنب ، وهناك أدلة على هذا الإتصال بين السيرة والتاريخ ، وهي :نحن نرى أكثر من الأحيان ، بأن التاريخ قد يكون تأريخاً لحياة قوم ما ، بل إنه يمكن من خلال تقصي التاريخ والمعينة والتدقيق في تلك السير رسم صورة واضحة الطريق عن تاريخ الأمة في تلك الفترة . ومنها سيرة حنا إبراهيم الشاب ، فهو يؤرخ فيها لحرب 1948 الميلادية ، وكذلك لحرب 1967 ميلادية ، وفيها يرسم صورة واضحة لليهود في تلك الفترة ، وكذلك نجد الأمر نفسه في كتاب مريد البرغوثي رأيت رام الله حيث يؤرخ ويكتب فيها لحرب 1967 الميلادية ، ويكتب السيرة الذاتية مرتبطة بالتاريخ ، كما قال أحمد أمين في كتابه حياتي لماذا - إذن - لا أؤرخ حياتي ، لعلها تصور جانبا من جوانب جيلنا ، وتصف نمطا من أنماط حياتنا ، ولعلها تفيد اليوم قارئنا وتعين غدا مؤرخنا ، فقد عنيت أن أصف ما حولي مؤثرا في نفسي متأثرا مما حولي (1) .¹

إذا قلنا بأن السيرة الذاتية تشبه بالتاريخ وترسم صورة واضحة من التاريخ ، ولا يعني بأنها يطابق تطابقاً من كل الوجوه بل إنها تختلف عن التاريخ في عدة أمور ، من أهمها : أن السيرة الذاتية تعتمد على ذاكرة فقط وقد تسقط بعض الأشياء والأمور وتغفل عن بعضها الآخر ، إذن ثبت بها بأن التاريخ يعتمد على الوثائق العلمية والشهادات الموثوقة ، فمن هنا وضح الفرق بين السيرة الذاتية والتاريخ ، والآن نحن نستطيع أن نقول : إن السيرة الذاتية فن أدبي مرتبط بالتاريخ ، والدليل عليه بأن كثيراً من السير حين تفقد العنصر التاريخي ، فتصبح أقرب إلى الإخبار الذي يراد منه الفائدة العامة فقط .

ب - السيرة الذاتية والمذكرات :

كما نعرف عن المذكرات بأنها تتحدث عما يجري حول كاتبه وهي تهتم إهتماماً كبيراً للأحداث حول كاتبها وخارجها أكثر مما تهتم للكاتب نفسه . ونستفيد من المذكرات قدراً كبيراً عن المجتمع الذي يدور حوله (2) ، معنى ذلك بأن كاتب المذكرات لا يتكلم عن نفسه بالضرورة ، ولكنه يتكلم عما يدور حوله من الأحداث ، ويدونها ويؤرخ لها ، وهو لا يكتب عن نفسه إلا شيء بسيط .

وورد في تعريف المذكرات بأنه : سرد كتابي لأحداث جرت خلال حياة المؤلف ، وكان له فيها دور ، وتختلف عن السيرة الذاتية بأنها تخص العصر وشؤونه بعناية كبرى ، فتشير إلى جميع الأحداث التاريخية التي إشتراك فيها المؤلف ، أو شهدها ، أو سمع عنها من معاصريه ، وأثرت في مجرى حياته (3) .

1- أمين ، أحمد : حياتي ، مكتبة النهضة المصرية ، مصر ، ط6 ، 1978 ، ص : 7

2- شرف ، عبد العزيز ، أدب السيرة الذاتية ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونغمان ، مصر ، 1992 ، ص : 44 .

3- عبد النور جبور ، المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، لبنان ، ط2 ، 1984 ، ص : 246 .

وثبت بذلك بأن المذكرات تولي الحياة العامة أثناء الحياة الخاصة للكاتب، لأنها توحى إلى حياة فرد كما تراها . وهناك فرق بسيط بين المذكرات والسيرة الذاتية وهي أن السيرة تعتمد على الذاكرة ، وتهتم بها على تسجيل ما مر بها ، والمذكرات فقد تكون جزءا مهما يشاهد كاتب السيرة على تذكر ماضيه ، أما المذكرات في تعتمد على الوقائع التاريخية ولا دخل للذاكرة فيها. محمد عزة دروزة التي بدأ نشرها عام 1948 م وجاءت تحت عنوان " مذكرات وتسجيلات مائة عام فلسطينية (1).

ت - السيرة الذاتية واليوميات :

اليوميات فهي كذلك تشبه مع السيرة من وجه وتختلف عنها في أوجه أخرى ، إذ أن اليوميات تشبه السيرة في ذكر ما يتعلق بحياة فرد ما ، وتختلف اليوميات عن السيرة في عدم تتبع نمط فني ، وشرع الإهتمام بكتابة اليوميات في أوائل القرن السابع عشر الميلادي ، وكان أصحاب اليوميات يرغبون في عدم نشرها ، أول رجل شرع فيها وجعلها يسجل يوميات في الأدب الإنجليزي هو وليم دوجديل الذي كتب في يومياته خمسة وأربعين سنة من حياته ، ولكنها لم تنشر إلا بعد وفاته ، وفي رأي بعض العلماء والكاتبين مثل استاوفر ، ومسر بور بأنها ليست تراجم ذاتية ، رغم ذلك بأن لها قيمة ، وأنها كانت من البذور الأولى للترجمة الذاتية الأدبية كما يبدو من يوميات دوجديل وما تبعه من كتابها (2) .¹

اليوميات تعتبر من أعمال جامدة ، وأنها لا تلتزم بتقنيات فنية بدرجة الإبداع ، وكذلك ليس من الصعب كتابة الأحداث اليومية التي تجري في حياة شخص ما ، ولكن القدرة والإستيعاب على هذه الأحداث وكتابتها تبقى ضرورية لتصليح الترجمة الذاتية أو الغيرية ، تحتاج إليها اليوميات التي تركز على رصد الأحداث فقط .

وأحسن نموذج على ذلك نجد كتاب " يوميات الحركة الوطنية الفلسطينية " لأكرم زعيتر (ت - 1996 م) (3).

ث - السيرة الذاتية والإعترافات :

هناك قسم آخر من أقسام الترجمة الذاتية وهي الإعترافات ، التي شاعت في القرن الثامن عشر تقريبا في أوروبا . وهي رياضة روحانية تشبه بتجربة الإلهام عند الفنان ، فقد كانت الإعترافات الدينية في العصور الوسطى وتعنى عناية شديدة بتصوير تجربة الكشف الصوفي . وأبرز مثال على ذلك هو إعترافات القديس أوغسطين التي تعتبر في قمة الإعترافات الدينية .

-
- 1- عبد النور جبور ، المعجم الأدبي ، ص 247.
 - 2- عبد الدايم ، يحي ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، ص 15 .
 - 3- قاسمية خيريه ، المذكرات والسير الذاتية الفلسطينية ، الموسوعة الفلسطينية ، قسم الدراسات ، المجلد الثالث ، ط1 ، بيروت ، 1990 ، ص 751- 756 .

ويؤكد الدكتور يحيى عبد الدايم في كتابه الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث : الصوفي ينقل لنا تجربة ذاتية تتصل بعالم غير مألوف لنا ، في لحظات فورية فجائية ، يخرج فيها عن شعوره الواعي ، محلقا بعيدا عن عالمنا الأرضي إلى عالم سماوي ، ثم لا يلبث وعيه أن يرتد إليه ، فيصور مواجده ، وما شاهده في تجربته الكشفية تصويرا صادقا (1) .

عندنا في الأدب العربي أمثال وأشباه عديدة للإعترافات في كلام المتصوفين نحو النصائح الدينية والنفحات القدسية للحارث بن أسد المحاسبي ، والمنقذ من الضلال لأبي حامد الإمام محمد الغزالي ، والطواسين لابن منصور الحلاج ، وكلها تصطبغ بالإعترافات التي هي أقرب إلى السير الذاتية في مواصفاتها وأسلوب كنياتها ، والإعترافات تقتصر بالإعتراف الديني تحت وطأة الإحساس بالذنب أو الخطيئة . ولكن هناك إعترافات جون جاك روسو التي لاقت شهرة واسعة لم تكن إعترافات دينية لأنها إتصف بالفحش في الصدق (2).¹

ج- السيرة الذاتية والرواية :

الرواية فن من فنون الأدب ، غايته سرد حادثة أو معالجة فكرة اجتماعية بأسلوب يقوم على السرد أي حكاية الوقائع على النسق التاريخي والتشويق . فأكثر الأعمال الأدبية تدل على ذاتية كاتبها ، كما نعرف بأن هذه الذاتية تختفي وراء الشخصية الروائية . بيد أنه ليست كل قصة صورت حياة صاحبها تعد ترجمة ذاتية له . يقول جورج ماي : ما يميز موقفنا عند قراءة سيرة ذاتية عن موقفنا عند قراءة رواية ، ليس كون الأولى حقيقية والثانية خيالية ، وإنما كون الأولى تظهر لنا في لبوس الحقيقية والثانية في لبوس الخيال (3) .

وأولئك الذين ترجموا لأنفسهم في قالب روائي وقصصي "جوس إدموند" في كتابه " الوالد والولد " ، وكتب عن نفسه في كل جزء من أجزاء الرواية ، رغم أنه لم يغفل عناصر الفن التي تجلب المتعة إلى القارئ (4) .

-
- 1- عبد النديم يحيى ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، ص 13 - 14 .
 - 2- المرجع نفسه ، ص: 14-18 .
 - 3- ماي جورج ، السيرة الذاتية ، تعريب محمد القاضي وعبد الله صوله ، بيت الحكمة ، قرطاج ، تونس ، ط1 ، 1992 ، ص 184 - 185 .
 - 4- عباس إحسان ، فن السيرة ، ص: 116- 118 .

- المبحث الثاني : السيرة الغيرية وأهم أنواعها .
- المطلب الأول : مفهوم السيرة الغيرية وأنواعها .
- المطلب الثاني : الفرق بين السيرة الذاتية والسيرة
الغيرية
- المطلب الثالث : الغاية من كتابة السير .

1- مفهوم السيرة الغيرية : (Biographie)

السيرة الذاتية تعد ضربا من ضروب السيرة ، إذ يتمثل الكاتب شخصية مافي الزمان والمكان ، فيكتب عنها ، ويعتمد في ذلك على الذاكرة أو المشاهدة ، ويكون محايدا فيما يكتب ، خاصة إذا كان يكتب عن شخص جدير بالإهتمام له منجزات في المجتمع ، أو له مكانة مرموقة في مجتمعه .

وقد عرفها " شرف عبد العزيز " بقوله : " أنها البحث عن الحقيقة في حياة الإنسان ، والكشف عن مواهبه وأسرار عبقريته من ظروف حياته التي عاشها والأحداث التي واجهها في محيطه والأثر الذي خلفه في جيله " (1).¹

كما عرفها محمد صابر عبيد بأنها نوع من أنواع السير الذي يروى فيه شخصية يعتقد بأهميتها ، فيستفيض الكاتب في البحث عن المعلومات القريبة والبعيدة من هذه الشخصية ، ليصنع إحساسا عاليا بها ، يساعده في تلمس خفاياها ، فيحول الشخصية إلى نموذج ويتوخى في ذلك عنصر الشفافية في مسيرة بنائه للسيرة الغيرية (2).

2 - أنواع السيرة الغيرية :

هناك أنواع كثيرة من السيرة الغيرية ، فمنها السيرة الغيرية الشعرية والسيرة الغيرية القصصية والسيرة الغيرية الروائية والسيرة الغيرية النقدية .

أ- السيرة الغيرية الشعرية :

هي سرد نثري يتولى فيه الكاتب تدوين السيرة الشعرية لشاعر منتخب ، يقتصر فيها على سرد حياة الشخصية بكل متعلقاتها التاريخية والحديثة والمكانية ، مع إغفال التطرق إلى الجوانب السيربية الأخرى في حياته ، إلا بالقدر الذي يسهم في إغناء سيرته الشعرية وإيضاحها ، وما يشترط في مثل هذه السيرة المنتخبة أن تكون ثرية وخصبة ، لها تاريخ حافل وإنجازات لسيرة الغممة تغري الكاتب بكتابتها وتغري القارئ بمتابعتها والإفادة من تجاربها (3).

ب- السيرة الغيرية القصصية :

سيرة غيرية قصصية لقاص منتخب يعمد فيها إلى تخصيص سرده السيربي في الحياة القصصية للقاص بمرجعياتها وتحولاتها وإشكالاتها ، من دون الغوص في سيرة حياة القاص عامة ، إلا ضمن الحدود المفيدة لسيرته القصصية ،

- 1- شرف عبد العزيز : أدب السيرة الذاتية ، الشركة المصرية العالمية ، ط1 ، لوندجان ، مصر ، 1992 ، ص : 3 ، 4 .
- 2- ينظر : محمد صابر عبيد ، تمظهرات الشكل السير ذاتي ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، ط1 ، دمشق - سوريا ، 2005 ، ص : 207 .
- 3- محمد صابر عبيد ، السيرة الذاتية الشعرية ، قراءة في التجربة السيربية لشعراء الحداثة العربية ، ص : 121 .

ويسخر الكاتب كل المدونات والمستندات والمعلومات التي يصرح بها القاص أو يسجلها بغرض خدمة التشكل السير الغيري القصصي ، ويتمتع الكاتب في هذا النوع من السيرة الغيرية بحرية إختيار الوضع السير الغيري القصصي الذي يراه مناسب من حيث الترتيب التاريخي والمكاني وعدم الإخلال بالنسق السيري في شكله العام (1) .¹

ت - السيرة الغيرية الروائية :

هي سرد نثري غيري يتطوع فيه الكاتب لتقديم سيرة روائية لروائي منتخب ، يعتقد بأهميته الإبداعية في مجال الإبداع الروائي ، وبإتساع تجاربه الروائية على النحو الذي يكون فيه مؤهلة لأن تروى ، بما تنطوي عليه من خصب وعمق ، وما تتكشف عنه من دروس فنية في خصوصيات الفن الروائي ، تحرض المتلقين بمختلف شرائحهم على متابعتها والتزود من ثرائها ومعارفها الفنية (2) .

من خلال التقسيمات يبدو لنا أن نوع السيرة الغيرية يكون موجها حسب إتجاه الشخصية المروى منها في حياتها ، كذلك حسب رغبة الكاتب وميوله ، وما أراد إبرازه من حياة الشخصية ، أي حسب زاوية إهتمامه يصوب مسار السيرة الغيرية .

وما يشترط في السيرة الغيرية ، أن تكتب بضمير الغائب ، وأن يكون الكاتب موضوعيا يلمح بسرعة ، ويفهم بإحكام ويجمع الحقائق ويتحدث عنها بحيادية تامة ، ويمزج المعلومات مزجا متعادلا منسجما ، ويصيغها بأسلوبه ويبعد ذاتيته قدر المستطاع ، ولا يوجد تطابق بين السارد والشخصية الرئيسية في السيرة الغيرية (3).

إضافة إلى ذلك فإن السيرة الغيرية تعتمد على المدونات والتوثيق الموضوعي والمشاهدات والملاحظات والقراءات وغيرها من وسائل النقد غير المباشر من خارج الذات المتحدث عنها ، لأن كاتب السيرة الغيرية يمتلك رؤية من الخارج تؤهله لأن يكتب عن شخصية ما ، لها وقع في مجتمعها يكشف أسرار نجاحها وفشلها .

3 - الفرق بين السيرة الذاتية والسيرة الغيرية :

إختلف الباحثون حول حقيقة الفرق بينهما فبعضهم ذهب إلى تشابه الفنيين من حيث الغاية والمنهج ، والبعض الآخر ذهب إلى الإختلاف والتغاير بينهما ، " فالترجمة الذاتية : تعبير مباشر فيه قدر كبير من الذاتية ، والترجمة الغيرية : توثيق وتحقيق وضبط واستنتاج فيه قدر كبير من الموضوعية ، دون غياب للجانب الذاتي والحقيقة تظل نسبة في كليهما " (4) .

1- محمد صابر عبيد : السيرة الذاتية الشعرية ، ص: 122 .

2- المرجع نفسه ، ص: 123 .

3- شرف عبد العزيز ، أدب السيرة الذاتية ، ص: 06 .

4- محمد صالح الشنطي ، فن التحرير العربي ، دار الأندلس للنشر والتوزيع ، دط ، دت ، ص : 222 .

إلا أن " عز الدين إسماعيل " ينفي الحقيقة التي تقول بأن : " أصدق حياة يمكن أن يكتبها الإنسان هي ترجمته لحياته الخاصة لأنه أعرف الناس بها " ، فيقول معلقا على هذه المقولة : " ولكن يبدو أن هذا غير صحيح في كثير من الأحوال ، ففهم الإنسان لنفسه أمر مشكوك فيه ، وربما كانت قدرته على فهم الآخرين أكبر من قدرته على فهم نفسه " (1).¹

ولكن هذا الأمر نسبي ويتوقف على شخصية المؤلف سواء أكتب عن نفسه أم عن غيره ، لأن كتابة السيرة تتطلب صدقا وضميرا متيقظا ، ولاسيما فيما يكتبه الإنسان عن نفسه ، كما تتطلب موضوعية وتحريا دقيقا وجمع المعلومات الكافية من مصادر موثوقة فيما يخص كتابة السيرة الغيرية .

ويلخص " إحسان عباس " هذا الفرق بدقة وإيجاز فيقول : " أن الأولى (أي الذاتية) : ذاتية مع شيء من الموضوعية ، وأن الثانية (أي الغيرية) : موضوعية مع ذرات صغيرة من الذاتية " (2) .

وتجدر الإشارة هنا إلى الفرق بين هذين النوعين من السيرة : فالسيرة الذاتية أوغل في الصدق وأوقع في النفوس لأن صاحبها يمتاح من ذكرياته ويكتب عما إعتل في نفسه ، فلا يوجد هناك وسيط لعرض أحداث حياته ، ومواقفه في الحياة (3) ، عكس السيرة الموضوعية التي يكون فيها كل شيء نسبي لأن الكاتب ، لا يستطيع الإحاطة بالمعلومات الكافية عن هذه الشخصية ، وربما يكون هناك وسيط بين الكاتب والشخصية .

فكاتب السيرة الذاتية يكتب بالإعتماد على فعل المعاشة أي ما عاشه وما مارسه وما مر به من تجارب وأحداث فهو يكتب عما يختلج بداخله من مشاعر وأحاسيس ، أما كاتب السيرة الغيرية فيستند إلى الوثائق والمعلومات فهو يكتب حقائق خالية من الأحاسيس ويكتب بأسلوبه وطريقة فهمه .

والسيرة الغيرية أسبق زمنا من السيرة الذاتية لأنها ظهرت مع ظهور التاريخ والأدب ، فمنذ ظهور الحضارات ظهر الكثير من الرجال الذين يعيشون في بلاط الحكام والسلطين ، فأرخوا للسلطين والملوك والحروب والمحاربين ورجال الدول وإن معظم هذه الأعمال تنطوي تحت مفهوم السيرة الغيرية (4) .

1- عز الدين إسماعيل ، الأدب وفنونه ، دار الفكر العربي ، دط ، دت ، ص : 210 .

2- إحسان عباس ، فن السيرة ، ص : 110 .

3- شعبان عبد الحكيم محمد : السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، رؤية نقدية ، دار العلم والإيمان ، دط ، 2009 ، ص : 144 .

4- ندى محمود مصطفى الشيب : فن السيرة الذاتية في الأدب الفلسطيني (1992 - 2002) ، درجة الماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا ، نابلس ، 2006 ، ص 07 .

وتكمن أهمية السيرة على إختلاف أنواعها في حفظ حياة الأفراد والجماعات ، فالسيرة لها أثر كبير في حفظ أخبار حياة الأفراد ، سواء كان شخص واحد ، أو مجموعة أشخاص ، كترجم اللغويين والنحويين ، أو طبقات الفقهاء والمحدثين ، وغير ذلك (1).¹

لذلك نجد السير عبارة عن مراجع مهمة للتعرف على حياة كثير من الأدباء والشعراء والعلماء والفقهاء والأمراء والوزراء وغيرهم ، فكم من رواية في حياة كثير من هؤلاء الأشخاص ضاعت لولا حرص كتاب السير على التدوين ، فالسيرة بمثابة الوعاء الحاضن للأخبار والروايات وحفظها .

كما أن السيرة تعد أحد مصادر العلوم والمعارف المختلفة: إذ لا يمكن تجاهل أهمية السيرة في الإحتفاظ لنا بتاريخ العلوم والمعارف المختلفة (2) ، فالسيرة ليست مجرد تاريخ حياة شخص ما فقط ، وإنما هو تاريخ لمختلف العلوم والمعارف المتصلة بالأشخاص المترجم لهم ، فكاتب السيرة حين يقدم على ترجمة حياة شخص ما فإنه سيتحدث بطبيعة الحال عن آثاره ومصنفاته وكل ما تضمنه من أفكار ومعلومات في تلك الفترة .

ولا يمكن إغفال قيمة السيرة في كونها أحد المصادر لجوانب الحياة في مختلف العصور ، حيث تساعد السيرة في الوقوف على جوانب الحياة السياسية ، الإجتماعية ، الثقافية ، العلمية ، فكاتب السير يصور حياة المترجم له تصويرا دقيقا ، يحرصون على رصد كل التفاصيل والجزئيات وكذا يصورون الحياة الإجتماعية وما فيها من أحداث ومتغيرات وأثرها في أدب وعلم وفكر وشخصية المترجم له (3) ، فهذه الأهمية هي المحفز على الكتابة في هذا الميدان ، في كل عصر ، من أجل المحافظة على التراث .

4 - الغاية من كتابة السيرة :

وراء كل سيرة حافز يلح على صاحبها ليقوم بتسجيلها ، إلا أن الإفصاح يختلف من كاتب إلى آخر ، فهناك من يفصح عن غايته في بداية الترجمة ، وهناك من يتركها منتشرة في ثنايا العمل كله ، ولا ندركها إلا بعد قراءة العمل كله قراءة عميقة ، وسواء أفصح الكاتب عن غايته أم لم يفصح " فإن هناك حوافز نفسية تؤثر في الإنسان هي : الإحساس والتفكير والشعور والحدس وهي الحوافز التي يراها عالم النفس كارل يونغ توجه الإنسان في أفعاله ، ويرى أنه يصعب وضع أي فرد داخل تقسيم معين من هذه التقسيمات " (4) ، فهي وسيلة لتحقيق الراحة النفسية عن طريق الإعتراف والتخفيف من الشعور بالظلم أو ثقل الذنوب " والغاية الأولى التي تحققها

-
- 1- عبد اللطيف الحديدي ، فن السيرة بين الذاتية والغيرية في ضوء النقد الأدبي ، دار السعادة للطباعة ، القاهرة ، ط1 ، 1996 ، ص: 13 .
 - 2- نفس المرجع ، ص : 14 .
 - 3- نفس المرجع ، ص: 16 .
 - 4- يحي إبراهيم عبد الدايم ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، ص : 22 .

السيرة الذاتية هي الغاية المزدوجة التي يؤديها كل عمل فني صحيح ، أعني متنفس طلق للفنان ، يقص فيه قصة حياة جديرة بأن تستعاد وتقرأ " (1) 1.

ويصنف " يحي إبراهيم عبد الدايم " ، السيرة تبعاً لحوافرها إلى الأنواع التالية (2) :

- أ- التبريرية: وهي التي تكتب للدفاع أو الإعتذار ومن أمثلتها ترجمة حسين بن إسحاق التي كتبها دفاعاً عن نفسه ثم ترجمة السمو آل يحي المغربي .
- ب- الرغبة في إتخاذ موقف ذاتي من الحياة : ومن أمثلته : "السيرة الفلسفية" لمحمد بن زكريا الرازي ، والغزالي في " المنقذ من الضلال " ، وابن الهيثم في كتاب ، " عيون الأنبياء في طبقات الأطباء " .
- ت- التخفيف من ثورة أو إنفعال : مثل " الإمتاع والمؤانسة " لأبي حيان التوحيدي .
- ث- تصوير الحياة المثالية: وهي أشبه بنجوى الذات ، تكتب ليحتذ بها الناس ، مثل : ما كتبه عبد الرحمان بن الجوزي في كتابه " لغة الكبد في نصيحة الولد " .
- ج- تصوير الحياة الفكرية: يصور فيها الكاتب ما أثر في تكوينه العقلي ، وتطوره الفكري .
- ح- الرغبة في إسترجاع الذكريات : ومن أمثلتها في الأدب الغربي : مذكرات " ميرابو " ومذكرات " كازانوف " ، وفي الأدب العربي : كتاب " الإعتبار " لأسامة بن منقذ والنكت العصرية لعمارة اليمني الذي تحدث فيه عن ذكرياته مع الوزراء في أواخر العهد الفاطمي .

1- إحسان عباس ، فن السيرة ، ص: 107 .

2- ينظر : يحي إبراهيم عبد الدايم ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، ص : 33- 35 .

الفصل الثاني :

قراءة في رواية "مي ليالي إزيس كوبيا ثلاثمائة
ليلة وليلة في جحيم العصفورية" ورواية "سيرة
المنتهى... عشتها كما اشتهتني" لوسيني
الأعرج".

المبحث الأول : قراءة في رواية " مي ليالي إزيس كوبيا ثلاثمائة ليلة وليلة في جحيم العصفورية" لواسيني الأعرج .

1- 1 - مفهوم التاريخي والمتخيل .

1- 2 - الشخصيات التاريخية والمتخيلة في رواية " ليالي إزيس كوبيا " .

1- 3 - الأحداث التاريخية والمتخيلة في الرواية .

1- 4 - العتبات النصية في رواية " ليالي إزيس كوبيا " .

1- 5 - تجليات التناص في رواية" إزيس كوبيا " .

1 - 1 - مفهوم التاريخي والمتخيل في الرواية :

تعرف الرواية التاريخية على أنها رواية حقيقية ، أي رواية تثير الحاضر ، ويعيشها المعاصرون بوصفها تاريخهم السابق (1) ¹ ، وهي أيضا ، " خطاب أدبي ينشغل على خطاب تاريخي مثبت سابق عليه انشغالا أفقيا ، يحاول إعادة إنتاجه روائيا ، ضمن معطيات أنية ، لا تتعارض مع المعطيات الأساسية للخطاب التاريخي ، وانشغالا رأسيا عندما تحاول إتمام المشهد التاريخي من وجهة نظر المؤلف إتماما تفسيريا أو تعليليا ، وتصحيحيا ، لغايات استذكارية أو استشرافية (2) .

فالروائي في الرواية التاريخية " يخطط مجموعة من الحقائق والوقائع مع الخيالات " (3) ، إضافة إلى المرجعية الحقيقية ثمة مرجعية أخرى تخفف وطأة سرد الأحداث التاريخية ، وإن كان بلغة أدبية ، وتخفف أيضا عبء تحمل الروائي الثقل الأمانة في أثناء الكتابة لذا فهو يتخذ من الحقائق " نواة ينطلق منها خياله الخالق ، وينسج حولها من رؤيته ، ورؤاه الإبداعية (4) ، فيمزج الحقائق بالخيال وهذه المرجعية هي التخيلية الجمالية التي يتلاعب بها الروائي متحررا من ثقل الأمانة التاريخية ، غير أن هذا التحرر مرهون أيضا بعدم معارضة الخيال للتاريخ ، بل على الخيال أن يوازr التاريخ لا أن يخالفه ، فأهم ميزة تتميز بها الرواية التاريخية هي الصدق. فلكل رواية تاريخية مرجعيتين رئيسيتين هما :

أ – المرجعية الحقيقية ، وهي نفعية .

ب – والمرجعية التخيلية ، التي تمثل الجمالية لهذه الرواية

فعلى الروائي أن يقوم بالموازنة بين المرجعيتين ولا يغلب إحداها على الأخرى وأن يوازن بين الصديقين الفني والتاريخي (5) .

حين يكتب الروائي عن مرحلة تاريخية ما ، فإنه حر في إنتقائه أحداثا بعينها لموضوعه وحر في تجاوز مالا يريده من أحداث ووقائع فهذه أول المراحل التي يمر بها كاتب الرواية التاريخية عملية الإنتقاء أو الإختيار ، وتجاوز الأحداث يخلق فجوات في السرد ما يحدث خلخلة في الرواية فتبدأ المرحلة التالية مرحلة التغيير الضرورية لربط الأحداث المنتقاة وهذا التغيير يكون سطحيا أو عميقا كثيرا أو قليلا وفي المرحلة الأخيرة وهي مرحلة التركيب تعتمد الرواية التاريخية رحلتين :

1 – لوكتاش – جورج : الرواية التاريخية ، ترجمة صالح جواد الكاظم ، ط2 ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، 1986 ، ص 89.

2 – الشمالي نضال : الرواية والتاريخ بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، 2006 ، ص : 117 .

3 – إبراهيم رزان : الرواية التاريخية ، الحوارية ، المونولوجية ، ص 126 .

4 – الشمالي نضال : الرواية والتاريخ ، ص 126 .

5 – المرجع نفسه ، ص : 124 .

أ - رحلة المكان تقوم بها الشخصية .

ب - رحلة في الذهن فتكون حركة المكان مصحوبة بحركة في الأفكار والمشاعر (1) ¹.

2-2- لشخصيات التاريخية والمتخيلة في رواية " مي ليالي إزيس كوبيا " لوسيني الأعرج :

تعد شخصية " مي زيادة " الشخصية البطلة الحقيقية الرئيسة ، إذ عرف قاموس علم الاجتماع البطل بأنه " فرد أسطوري أو حقيقي ، حي أو ميت ، يرمز إلى جانب مهم من جوانب القيم السائدة في ثقافة معينة ، وجدير بالذكر أن الفرد الذي أصبح بطلا يمكن أن يكون قد حقق المزايا التي ارتبطت به أو لم يحققها ... ولذلك يرتبط دائما في أذهان الجماعة بالمثال والقوة (2) .

وبالعودة إلى الرواية نجد أن هذه الشخصية هي " مي زيادة " والتي تمثل نموذج المرأة المقهورة والمناضلة ، فهي شخصية قوية ، ذكية لم تستسلم رغم قساوة الظروف ، وتخلي الأهل عنها والأصدقاء المقربون وخاصة خذلان " جوزيف " لها ، جعلها تتأرجح بين كفي الضعف والقوة ، إذ كانت تشعر بالمهانة عند إطلاق لفظة " المجنونة " عليها ، وكانت تفشل في بعض المرات في إثبات صحة عقلها ، فهي أديبة عربية ولدت في فلسطين من أب لبناني وأم فلسطينية ، درست متنقلة بين مدارس الناصرة ولبنان ، التي أنهت تعليمها الثانوي ، ثم انتقلت مع أسرتها إلى مصر ، فبعد إشراقه حياتها يأتي الغروب ، فيموت والدها ويلتحق بها جبران ثم أمها ، لتجد نفسها وحيدة مطموعا بها وبأحوالها ، لتبعث برسالة إلى قريبها جوزيف زيادة ليصطحبها إلى لبنان ، ويدخلها إلى العصفورية ، وقد ذكرت في الرواية ، الشخصيات التي كانت حولها إبان محنتها وهي إما شخصيات تحقق وجودها في التاريخ ، سواء أكانت على علاقة بمي أم لا ، وإما شخصيات متخيلة .

أولا - الشخصيات التاريخية :

1 - جوزيف زيادة :

وهو ابن عم " مي زيادة " فقد أحبته وفضلته على أخوه " نعموم " الذي خطبها ، لأنها كانت ترى في جوزيف مثال الرجولة ، كانت تراه رجلا يستند عليه فوضعت فيه ثقة عمياء ، فقد

جمعتهم الرواية في قصة غرامية في عينطورة ، إحدى مدارس لبنان ، إلا أنه تغير عليها ، ولم يعد كما كانت تتصوره أو تقوله الرسائل بينهما ، ولكن تهب الرياح بما لا تشتهي السفن ، فالحب الأول قسوة لأن الانفصال فيه صعب ، إذ يظل اللحظة الطفولية الأنقى والأكثر عفوية ،

1 - ينظر : إبراهيم رزان : الرواية التاريخية بين الحوارية والمونولوجية ، عمان ، دار جرير للنشر والتوزيع ، 2012 ، ص : 13.

2 - عاطف غيث وآخرون : قاموس علم الاجتماع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1979 ، 221 - 222 .

فقد غدرها أيما غدر وتعبير عن حزنها وآلامها " كيف جعلني أوقع له على التوكيل الذي يسمح له بتسيير كل ممتلكاتي؟ أين كنت؟ أي دوار أصابني؟ مراهناتي الأولى جعلت حياتي كلها

محصورة في ابتسامة جوزي في فرحه وغضبه ، وفي كلماته التي ينتقيها بدقة من قواميسه الفرنسية الثقيلة التي تهزني من الأعماق؟ أهو الحب الأعمى الذي سكنني بقوة؟ أم الحاجة الماسة إلى حائط أنكى عليه ، بعدما سقطت كل حيواني " (1) ¹، فتخاطبه وهي متحسرة على فعلته ومندهشة قائلة: " ليش تعمل فيني هيك يا جوزي؟ حرام عليك؟ شو عملت لك؟ (2) .

فشخصية " مي " في مخطوطتها تبرز لنا دور المرأة المناضلة ، المقاومة ، العنيدة ، المرأة التي لا ترضخ لأي سبب ، كما يتضح لنا من خلال مخطوطتها شخصية جوزيف الإنتهازية والبحث عن مصلحته أولاً ، وذلك من خلال الإستيلاء على ثروتها والزج بها في العصفورية ، فهي تتساءل: " هل هو نفس الكائن الذي احتضن وجهي وهو يوشوش في أذني : حبيبة قلبي " (3) .

ثم ترى نفسها امرأة حية عندما تتذكر قول " هدى الشعراوي " رائد الصالون الأدبي وهي تقول " مي تعرف قدر نفسها في تواضع جميل " (4)

فشخصية " جوزيف " شخصية خبيثة ماكرة ، مارست بأسلوب لبق لين فكرة الإستحواذ على " مي " ، حيث بقيت عنده شهرين ونصف على مضمض منها حتى استكمل برنامجه ، ثم أرسلها إلى العصفورية ، حيث تقول مي: " أرسلني إلى العصفورية بحجة التغذية ، وباسم الحياة ألقاني أولئك الأقارب في دار المجانين أحتضر على مهل وأموت شيئاً فشيئاً ... (5) .

ثم بدأت علامات التوتر والقلق تظهر على جوزيف بسبب عناد مي وعدم رضوخها وموافقته له للذهاب إلى المستشفى ، فأمسكت مي بعنف قائلة: " اليوم راح أقتلك يا مجنونة " (6) ، فهذه العبارة جعلتها تنسى وجودها وهذا بعدما ضربته بالمزهرية وأسالت دمه .

2 – أمين الريحاني :

وهو من بين الأصدقاء الذين تخلوا عن " مي زيادة " ، وتمر الأيام في مستشفى ريبز وتلتقي به ، فبدت ملامح الخجل على وجهه أثناء رؤيته لها ، وقد عاتبته ناقمة عليه ، على الرغم من أنها كانت مسرورة جداً بلقائه للمرة الثانية بعد ثلاثة أيام من اللقاء الأول قائلة: " لقد كنت هنا عندما جيء بي من مصر يا أمين ، وكنت هنا عندما نقلت إكراها إلى العصفورية ، وقد كنت هنا أثناء وجودي في تلك الجحيم ، كم مرة فكرت فيك ، وأنا ناقمة ، أيعقل أن يصدق

1- رواية مي ليالي إزيس كوبيا ، لوسيني الأعرج ، ص : 42 .

2- رواية مي ليالي إزيس كوبيا ، لوسيني الأعرج ، ص: 48 .

3- رواية مي ليالي إزيس كوبيا ، لوسيني الأعرج ، ص : 151

4 - رواية مي ليالي إزيس كوبيا ، لوسيني الأعرج ، ص 160 .

5 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كوبيا ، ص : 30 .

6 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كوبيا ، ص : 51 .

الأستاذ " الريحاني " بكل جلاله وقدره وانسانيته ، ما يصدقه الناس ؟ قلت في خاطري يوماً : " والله لو صدقت أمة أجمعها ، ما شيعه الناس بخصوص " مي " ، يجب أن لا يصدقه الأستاذ " الريحاني " ، بل أن يجيء بنفسه ويرى بعينه ، هذا هو سبب نقمي عليك (1) ¹ . ويوضح الريحاني من خلال هذه المخطوطة سبب شعوره بالذنب : " فقد كنت مقصراً في واجب الزمالة والحب ، بل عن واجب الصداقة المقدس صدقت ما صدقه جميع الناس ، صدقت الإشاعات المحزنة عندما جيء بمي من القاهرة إلى بيروت قبل سنة وعشرة أشهر ، فأمسكت على زيارتها واستطلاع حقيقة حالها ، أمسكت على الزيارة وأنا أبرر عملي بما تطور مزاجي ، فإنني في مواصلة غير العاقلين ؟ إن الروح مصدر الصداقة وإن العقل مختلط اختلاطاً قاهراً بالروح ، فمتى ذهب العقل وهي خير ما في الروح كذلك ، فاعترف الريحاني بالخطأ الذي اقترفه في حق هذه الشخصية متسائلاً ، كيف رضخت امرأة بحجم مي ؟ ودخلت إلى العصفورية ، فأجابته وحكت له الجريمة بالتفصيل ، فلم يقل كلمة (2) .

3 - مارون غانم :

وهو أحد أصدقاء مي زيادة وقد زارها في العصفورية ، وهو تاجر من الناصرة ، وقرر أن يسخر ماله وكل ما يملك من أجل إخراجها من العصفورية : " لن أعود إلى عملي إلا بعد وضع حد لهذا الظلم ، لا تشغلي بالك أنت لا تعرفيني . مجرد قارئ من بين الآلاف ، وربما الملايين من قرائك الذين يحبونك (3) .

4 - خليل خوري :

هو أحد أصدقاء مي زيادة الذين تعاطفوا معها وساهموا في إخراجها من العصفورية ، فالحب من غير أمل أسمى معاني الغرام ، وشعور خفي يتجول في كل مكان ، ويطوف الدنيا بحثاً عن فرصة تستحق أن تجمع بين حبيبين

5 - فؤاد حبيش :

فؤاد حبيش وزمن المكشوف ، عنوان كتاب صدر حديثاً عم " مؤسسة الفكر اللبناني ، ثم تتحدث عن إنصاف جريدة المكشوف لها ، إذ تقول " عدد المكشوف الذي خصص لقضيتي كان شديد الأهمية ، فقد منحني فرصة أن أشعر أنني لم أكن وحيدة في غابة شديدة الخطورة على كل من يجد نفسه فيها ... أمير الشرق العربي يطالب رئيس الجمهورية " إيميل " بالتدخل لمساعدتي وقد نشرتها المكشوف (4) .

1 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كويبا ، ص : 160 .

2 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كويبا ، ص . 162 .

3 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كويبا ، ص : 164 .

4 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كويبا ، ص : 181 .

فؤاد حبيش مؤسس الجريدة والمجلة ثم الدار التي ولدت نهضة فكرية وثقافية انطلقت من المكشوف في لبنان ، ووصل صداها إلى العالم العربي ، والتي عرفت بمناصرتها لمي في محنتها من بدايتها إلى نهايتها ، رغم التهديد والوعيد الذي تعرضت له .

6 – أستر يواكيم : (1) ¹

فهي الممرضة النشيطة ، وهي الحارسة للطبيبة التي قارنتها بأصدقائها الذين باعوها ونكروا جميلها ، وقد خرجت من المستشفى لتعيش معها في الإقامة في منزل نزلة أبي طالب .

7 – ميلر : (2)

فهو مدير مصح الأمراض العصبية آنذاك في العصفورية ، فأراد التقرب من مي ، مدعيا بذلك أنه مستشرق إنجليزي فهي تعتبر حيلة من أجل التعرف ، من أجل الكشف على مرضها ، فقد استطاع من أن يشخص مرضها فهي تعاني من انهيار عصبي ، فميلر ليس الطبيب المسؤول في زجها في العصفورية .

فهناك العديد من الأسماء الحقيقية التاريخية في الرواية كالدكتور "مارتن" ، و"القاضي" ، ومعاونيه "أكرم عازار" و"إحسان بيضون" ، والمحامين "حبيب أبي شهلا" و"بهجت نقي الدين" والفنان والأديب "يوسف الحويك" و"فارس خوري" وزوجته "أسماء" ، و"بدرية الأيوبي" والأديب "طاهر الطناحي" .

أما الشخصية الحقيقية التي لم تكن على علاقة ب"مي" هي شخصية "كاميل كلوديل" فهي شخصية حقيقية ، فهي فنانة ونحاتة فرنسية ، وهي شقيقة الشاعر والكاتب الدبلوماسي "جول كلوديل" ، وكانت تجمعها علاقة مضطربة مع النحات المشهور "أوجست رودان" والذي يكبرها بأربعة وعشرين عاما ، والتي انتهت بانفصالها ، مما تسببت ذلك في احتجازها في مصح نفسي عام 1913 ، إبان إصابتها بنوبات صرعية وإنفصام في الشخصية . فكان الأعرج ، لثقافته ، سبق في هذه المقاربة ، أخلص من كل هذا إلى أن شخصية "كاميل كلوديل" ليست متخيلة ، وإنما المتخيل العلاقة المتبلورة في الرسائل التي جمعتها ب"مي" ، إذ لا صحة لهذه العلاقة في الواقع .

وهناك شخصيتان حقيقية إلا أنها لم ترد في الرواية كشخصيات ، بل تطرق إليها واسيني الأعرج ناقلا شهاداتها عن "مي" : (فهما شخصية الطبيب المعاون "مانوكيان" وشخصية المحامي "جوزيف باسيلا" .

1 – ممرضة في رابيز آنذاك

2 – مدير مصح الأمراض العصبية آنذاك

ثانيا : الشخصيات المتخيلة :

إعتمد واسيني الأعرج على شخصيات متخيلة ، محملا إياها أحداثا مختلفة ، لم يسقطها على شخصيات حقيقية ، حتى لا يخالف التاريخ صدقه وأمانته ، فنسبها إلى الشخصيات المتخيلة لا إلى الشخصية التي قامت بها في الحقيقة .

1 - الخالة مادلين : (1) ¹

فقد كانت مسؤولة عن إحضار الطعام إلى "مي" وإلى غرف المرضى ، فمى أهملت الحديث والكتابة عن هذه الشخصية ، كونها لم تؤثر سلبا على مشكلتها ، فقد ركزت على القهر الذي سبب لها لبنان والأهل و الأصدقاء ، وعلى وجعها النفسي ، فالخالة مادلين أضاءت بحضورها فكرة عدم قبول "مي" الطعام ، إذ كانت تضرب عنه احتجاجا على الظلم الممارس ضدها بوضعها في مكان يسيء إليها وإلى مكانتها .

2 - المجانين :

لم يغفل واسيني الأعرج ، وهو يكتب على لسان "مي" عن المجنونات اللواتي كن معها (فحري كبيرة في كل ليلة مع المجنونات اللواتي يفتحن أفواههن و عيونهن عن آخرها لتخويفي أو ربما كانت تلك حالتهم) (2) .

عمد واسيني الأعرج إلى ملء الفجوات بإتيانه على ذكر مجموعة من المجانين والمجنونات فبعضهم رأتهم من خلال جولة لها مع الطبيب في الأقسام كالرجل ، ومريم وبعضهم تعرفت عليهم في الحديقة" كماجدة" و"إيزميرالدا "

3 - مدام شوكت :

فهي ممرضة في العصفورية ، فلم يكن لمدام شوكت منظار واحدا تنظر منه إلى "مي" ، فتارة تؤمن بأنها بثقافتها وعلمها ، لا تشبه بقية المجانين وأحيانا أخرى تخاطبها ب"المجنونة المصرية" ، وربما مرض مي النفسي هو ما يدفع مدام شوكت للقول (أحيانا تقول عنها هي هنا عن طريق الخطأ لثقافتها وعلمها وصبرها ونعومة لغتها ، وفي أحيانا أخرى تصيب بهيستيريا فتتحول إلى وحش كبير (3) .

4 - الأطباء والمرضون :

1 - ينظر : الأعرج واسيني ،رواية مي ليالي إزيس كويبا ، ص 46 .

2 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كويبا ، ص : 66 .

3 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كويبا ، ص : 79- 80 .

ثمة أطباء سيئون ومرمضات سيئات ، وجوههم عابسة مخيفة ، فالطبيب الكبير الذي اعتقلها من منزل جوزيف عنفها ، فهؤلاء الأطباء والممرضون حين يسمعون صوت المريض " يتراكمون مثل البقر الوحشي المرعوب من صوت الطائرات المروحية الجامدة " (1) .
والمرمضات والعاملات ، مثل الأطباء ينظرون إليها على أنها مجنونة (في مخ الممرضات ، أنا أشبههن x إن لم يكن مرضي أكثر استعصاء من جنونهن) (2) .

وأثناء وجودها في العصفورية ذكرت " مي " أسماء أطباء رئيسيين عدة ، والذين كانوا يعاملونها بالرفق واللين مصدقين بأنها ضحية مؤامرة ، من بينهم " الحكيم غسان " الذي كان يفتعها بتناول الطعام ، وشرب الأدوية ، فقد كانت "مي" ترى في حنانها لها حنان أبيها الذي فقدته .

5 – ليليان : (3)

وهي المسؤولة عن قراءة رسائل المرضى قبل إرسالها في العصفورية ، وكانت تسمى " غزالة العصفورية " وكذلك كانت مسؤولة عن إخبار المرضى بالزيارات وبالزائرين .

6 – بلوهارت أو سوزان :

وهي الممرضة المتقفة التي خاطبت " مي " بصفتها كاتبة ، وكانت ممن رفضوا إتهام "مي" بالجنون ، فقد كانت صلة وصل بين مي والصحف .

فإن وجود الممرضتين " بلوهارت " أو سوزان والممرضة "مدام شوكت " أسهم في مساعدة الروائي واسيني ، من خلال تسليط الضوء على مأساتها وكشف الكثير من الحقائق ، ثم إنه أسند إليهما أفعالا ربما هي غير تاريخية ، كجلب الأوراق والأقلام لمي ، أسند إلى مدام شوكت فعلا تاريخيا لشخصية هو إطعامها قسرا .

3-1- الأحداث التاريخية والمتخيلة في الرواية :

من الأحداث التي كانت ملتبسة في الواقع وملتبسة في الرواية أيضا زمن كتابتها لمخطوطتها، ففي الرواية ، تكتب مخطوطتها في العصفورية ، وتذكر أنها كتبت بداية ، لعدم استجابتهم لطلبها بإحضار أوراق وقلم رصاص على باكيت سجائر ، وهذا ما نجده في الرواية حينما تقول : (فتحتة كليا وبدأت أدون حزني على بياضه ، وبخط ناعم كأنها آثار سرب من النمل ، ربحا للمسافات ، القلم الصغير سرقتة من الممرضة مدام شوكت) (4) ، ثم تطلب من الممرضات أوراقا وقلما وطاولة من أجل كتابة مذكراتها فوجدت الممرضة "بلوهارت" هي سندها ، وذلك

1 – الأعرج واسيني ، رواية مي ليلان إزيس كوبيا ، ص 135 .
x تقصد المجنونات .

2 – الأعرج واسيني ، رواية مي ليلالي إزيس كوبيا ، ص : 142 .

3 – الأعرج واسيني ، رواية مي ليلالي إزيس كوبيا ، ص : 146 .

4 – الأعرج واسيني ، رواية مي ليلالي إزيس كوبيا ، ص : 61 .

من خلال قولها : (فجاءتني ممرضة أخرى ، أراها لأول مرة ، كانت لطيفة جدا . سوزي أو سوزان ، الجميع هنا ، ينادونها بلوهارت (1) ¹ . وكانت أكثر نعومة من كل ما رأيتهم في العصفورية ، جاءتني بقلم رصاص صغيرين ومبراة ، وبعض الأوراق ، وممحاة جزء منها أزرق والجزء الثاني أحمر باهت .

- لا أدري ما سيقوله الطبيب عن فعلي ، لأنني لم أطلب إذن من أحد ، من حق كاتبة كلبرة مثلك أن تكتب ألمها على الأقل ؟) (2) .

فقد كان القلم والورق الوسيلة والمنفذ الوحيد لكي تخرج من معاناتها وآلامها ، حيث تقول : (أكتب فقط ، وأعود الكتابة ، لكي لا أموت اختناقاً بالجنون والجحود ...)

وحينما قام مارون غانم في العصفورية قال : (كنت أنوي أن أكتب شيئاً لا أعرف من أين أبدأه ، بقيت كثيراً أنظر إلى الورقة والقلم الرصاص) (3) ، ومن خلال حكاية "كاميل" ، كانت تومض لها بنهاية قريبة من نهاية "كاميل" ، فتفكر عن تلك المرأة التي ظلمت إلا أنها لم تستطع (4) .

إن ما سبق يؤكد للقارئ أن "مي زيادة" كتبت مخطوطتها وهي في العصفورية في المصح ، إلا أن هناك بعض المراجع لم تتفق فيما بينها ، فهل كتبت مخطوطتها في العصفورية ؟ أو بعد خروجها منها ، ويجدر الإشارة إلى أن الرواية ليست المخطوطو وحدها ، بل أيضاً كتاباتها بعد العصفورية في لبنان والقاهرة ، فقد كانت تكتب على مراحل عدة ، داخل العصفورية وخارجها لكن السؤال المطروح : (هل كانت "مي" قد أطلعت أحداً من أصدقائها المقربين على مخطوطتها التي يؤيد جزء منهم كتاباتها لها في العصفورية ؟) . إلا أن أغلب الظن أن أحداً لم يطلع عليها فلم تكن جاهزة وأنها لا تزال في طور الكتابة .

فكك الروائي واسيني الأعرج غموض ليالي العصفورية التي دخلتها "مي زيادة" بطابع لا يخلو من ميزة تخيلية ، تعكس أهمية مرحلة مرت على امرأة أوقعتها شبك الحب والتحرر في مرحلة مصيرية من حياة شكلت مادة دسمة ، إذ أتبع أسلوب السرد المؤدي إلى جدلية النص السردي الموثق يبحث عن مخطوطات هي الحقائق المباشرة وغير المباشرة بوصف زمني ومكاني ، وقام بالبحث عنها في رحلة شبيهة برحلة " أغاثا كريستي " في شعاب بوليسية انقطعت بعد الإطلاع على تفاصيل الرسائل أو الحصول على المخطوطة ، مركزاً على اكتشاف المراحل الغامضة من حياتها ضمن الحدث المتخيل المبني على الحدث الأساسي ، وهو دخولها إلى العصفورية ، والخروج منها بعقل سليم بعد معاناة شكلت المكون السردي لرواية إزييس كوبييا لوسيني الأعرج ، فهل صيغة المخطوطات الاسترجاعية أو ما كتبتة الصحف عن مي هو

1 - القلب الأزرق .

2 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزييس كوبييا ، ص 62- 63 .

3 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزييس كوبييا ، ص 147 .

4 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزييس كوبييا ، ص : 153 .

صياغة روائية تتبع مسار وسيني الأعرج ، بين مكون سردي رئيس ، ومكون سردي تخيلي مي ليالي العصفورية فعلا ؟ .

إختزال لمراحل حياتية قضتها مي زيادة في ليالي رواية تشبه المكان الذي قضت فيه مي زيادة أسمى أيامها ، وتوجيه حمل الوثائق المحتوى الذي استطاع من خلاله الروائي واسيني الأعرج تفسير التوترات النفسية لعاشقة نشأت على رومانسية فرنسية جعلتها حاملة برجل قاده إلى الجنون ، باعتبارها أول امرأة فتحت صالونا أدبيا واستطاعت إثبات وجودها بين الرجال ، وهذا ما جعلها تتعرض لكثير من النزاعات المخفية المتماثلة مع حياة " كامي كلوديل " ، فالعلاقة التي جمعت " مي " ب " كاميل كلوديل " لافتتة النظر ، امرأتان بارزتان كل بين قومها ، إحداهما شرقية والأخرى غربية ، تجمعهما التجربة الأليمة ذاتها تتعارفان وتتصادقان ، فإن هذا يخلق إستغرابا لدى القارئ يدفع إلى التساؤل عن حقيقة هذه العلاقة ، فهل حقا كان ثمة علاقة بين هاتين المرأتين المتشابهتي التجربة في الأدب والفن وفي المأساة أيضا ؟ .

فإن الصداقة التي جمعت " مي " و " كاميل " في الرواية ومن ثم مراسلاتهما ليست إلا حدث متخيلا أبدعه خيال الروائي المثقف ، ليقول أن المرأة الشرقية ليست وحدها المضطهدة ، بل إن هناك غريبات تعرضت للظلم نفسه ، كامي كلوديل كذلك دمرها ودفع من ورائها أهلها ، بالخصوص أمها التي كانت تكرهها ، ففضوا عليها في المستشفى المجانين ، فقد قتلوا الذكاء والنور والرهافة ، فإن التشابه في حالتيهما هو ما دعا الروائي إلى توظيف قصة " كاميل " ، وتعود هذه الصداقة المتخيلة إلى وقت لقاء " مي " بالقنصل الفرنسي إذ طلبت منه عنوان " كاميل " في مصحها (1) ¹.

إلى جانب فاعليتها في أحداث حقيقية يرتئها الروائي ، فإن الشخصيات المتخيلة تفضي ، بطبيعة الحال ، إلى أحداث متخيلة ، وعلى هذا التخيل أنه من الغريب وغير المنطقي أن تخط " مي " مذكراتها في العصفورية ، الأمر الذي انتهجه الأعرج في روايته ، ولا تذكر شيئا مما شاهده هناك أو ما سمعته ، فما رأته علاقة حارس العصفورية بالمجنونة " إيزميرالدا " ، فهما على علاقة تفضي إلى حملها منه ثم مغادرتها العصفورية (2) . ومما سمعته ، حوار بين حارسي العصفورية عنها : (إنها الكاتبة الشهيرة) (3) ، فالروائي خلال سرده هذا ل " إيزميرالدا " مستمدا مما روته " مي " للحديث ، لكن القصص الأخرى لم ترد في أي مصدر تاريخي ، إنها قصص متخيلة .

يبدو أن قضية المرأة العربية معقدة دائما ، لأنها تستحوذ على تعاطف المجتمع الغربي معها ، وربما في رواية واسيني الأعرج " ليالي إيزيس كويبا " هي عودة الماضي إلى مستقبل بات يرمي المرأة في افتراضات شبيهة بافتراضات الشبهات عن " مي زيادة " ، ومن ثم نفته

1 – ينظر ، الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إيزيس كويبا ، ص : 95 .

2 – ينظر ، الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إيزيس كويبا ، ص : 137 – 140 – 181 .

3 – ينظر ، الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إيزيس كويبا ، ص : 138 .

المحكمة بقرارها الذي أعاد عقل مي زيادة إلى أركان جسدها الذي قضت عليه ليالي العصفورية ومحنة الموت المبكر .

حين تختلط الحقيقة بين العوالم الروائية تصبح يقينية بأن السرد الروائي هو جزء من الحياة التي نضعها على صفحات ورقية هي كالمجهر لأحداث مؤلمة أو مفرحة لا فرق ، فهي تجسد الواقع المر في مخيلة الروائي ، وتجسد معانيها في نفس القارئ .

وفيما يتعلق بوفاتها ، يكتب الدارسون أن جيرانها قلقوا حينما امتنعت عن الخروج بضعة أيام متواصلة ، فحطموا باب شقتها ليجدوها ممددة في سريرها (1)¹ ، إلا أن الرواية لم تبين هذا ، فحين شعرت "مي" بالتعب والألم هاتفت طبيبها ، فطلب منها إبقاء لباب شقتها مفتوحا إلى حين وصوله مع سيارة الإسعاف ، وحينما وصل كانت في شبه غيبوبة (2) .

4-1 - العتبات النصية في رواية " مي ليالي إزيس كوبيا "

تشكل عتبات النص حضورا فعليا في متن الرواية تارة ، ويمكن أن تضيء المتن دون أن تتفاعل معه تفاعلا داخليا ، ويرى بعض النقاد أنه يمكن الإستغناء عن العتبات أو عن معظمها أو عن بعضها دون أن يتأثر النص ، بل إن وجودها قد يسيء للمتن الروائي ، لأنها تفضح أسرارها وتنتهك عوالمه التي تعتمد على التلميح وتبتعد عن المباشرة . والتي تمكنا على طرح مجموعة من الأسئلة التمهيديّة ، ما الدور التي تضطلع به العتبات في الرواية ؟ وهل تؤثر العتبات في النص أم أن النص يؤثر فيه على امتداد مساحة القراءة ؟ وهل ثمة علاقة بين العنوان والعتبات المتلاحقة ؟ .

أولا : عتبة الغلاف :

أ – الغلاف الأمامي :

نلاحظ في الجزء الأيمن من الغلاف صورة " لمي زيادة " ، بشعرها القصير ، ونظرتها الحاملة الجانبية إلى الأعلى ، وشفثتها المخصبتين بأحمر الشفاه الغامق ، ترتدي ثوبا أبيض بسيطا ، يكشف عن منتصف ذراعها ، تضعهما على ركبتيها بمظهر فيه الطفولة والأنوثة ، في هذه الصورة الملائكية تظهر الأنسة "مي" بكامل بهائها وصورتها المثلى ، فصورتها جميلة أنيقة رغم كل الذي عانته في آخر حياتها ، لأن جمالها كان داخليا . فلوحة الغلاف أداة رمزية تمثل توجهات الرواية ومقاصدها ، " الرسومات الفنية الواقعية يلجأ إليها الكاتب سواء في الغلاف

1 – ينظر : الكريزي ، سيمي الحفار ، مي زيادة أو مأساة النبوغ ، ج2 ، ص : 439 .
2- ينظر : الأعرج واسيني ، مي ليالي إزيس كوبيا ، ص : 273 .

الأمامي أو داخل صفحات الرواية وفصولها لتكون أداة تعبيرية عن مشهد قصصي معين ينبغي الكاتب توصيله " (1)1.

صمم غلاف الطبعة الخاصة بفلسطين " زهير أبو شايب " ، ورسمت لوحته " نورة الخليفة " ، كتب اسم الروائي باللغة الإنجليزية باللون الأسود وبخط دقيق متقطع الأحرف ، كما أنه بالأحرف الكبيرة في أعلى الغلاف هكذا :

WACI NYLAREDG

وكتبت كلمة رواية بأحرف عربية متقطعة أيضا باللون الأحمر " ر و ا ي ت " ولعل في هذا إشارة إلى أن هذا العمل ليس رواية بالمفهوم التقليدي للرواية ، حيث يجمع الكتاب بين سيرة ذاتية وغيرية للأنسة " مي زيادة " ، كما نجد أحرف كلمة رواية على الغلافين الأمامي والخلفي، ثم يتبعه باسم المؤلف الأول فقط بأكبر حجم على الغلاف " واسيني " باللون الأسود ، بينما عند كتابة الاسم باللغة الإنجليزية وضع اسمه كاملا .

كما نجد خطأ رفيعا أحمر تحت الاسم الضخم "واسيني" يفصل بين عنوان الرواية واسم الأديبة الأول "مي" المكتوب باللون الرمادي الفاتح ، وتحتته يأتي العنوان الآخر " ليالي إزيس كويبا " باللون الرمادي الغامق ، وبين سهمين باللون الأحمر يستكمل العنوان الطويل " ثلاثمائة ليلة وليلة من جحيم العصفورية " باللون الممزوج من الزيتي والرمادي ، فهذه التدرجات اللونية للعنوان تحيلنا إلى تدرجات من البؤرة إلى الفرع . فالخط الرفيع الأحمر الذي فصل الاسمين ، اسم و"اسيني" واسم "مي" ، كأن واسيني الأعرج جاء ليواسيها على الغلاف .

واسيني

مي

إن دوافع الكاتب في هذا العمل كان مكنونا داخليا عبر عن صراحة في مقدمة الرواية : " في غفوتي الساحرة ، ينتابني وجهها ورعشة عينيها ، أسمع رفيفا يشبه نبض قلب متعب ، كأنه كان يأتي من عمق المخطوطة ، ومن بين حروفها التي تتلاصق كأنها تبحث عما يمنحها بعض الأمان ... أتحسس برهبة الورق الذي انتفخ قليلا ... كأنني أفتح كتابا مقدسا ظل مرميا قرونا متعاقبة في دبر المعزول ... أنتبه فجأة أن الخفقان كان مصدره قلبي ... " (2)2.

1 - مبروك ، مراد عبد الرحمان ، (2002 م) جيوبوليتيكا النص الأدبي ، تضاريس الفضاء الروائي نموذجا ، ط1 ، مصر : دار الوفاء ، ص 153 .

2- الأعرج واسيني، رواية مي ليالي إزيس كويبا ، ص : 38 .

لون اسم "مي" الرمادي الفاتح فإنه يؤشر إلى المزج بين بياض روحها وسريرتها ، وسواد الواقع المرير الذي عاشته في جحيم العصفورية ، بينما يلف البياض غالب الغلاف للإشارة إلى الضياع والعالم المفتوح للمجهول بضبابيته .

ب - الغلاف الخلفي :

يحتوي الغلاف الخلفي على صورة للروائي " واسيني الأعرج " ، جاء تحتها عنوان الرواية " مي ليالي إزيس كوبيا " بحجم كبير .

يحيي الغلاف الخلفي ملخصا للرواية ، في يتحدث عن مخطوطة كانت ضائعة كتبتها " مي " في العصفورية : ليالي العصفورية ، تحتوي على الكثير من الأسرار ، رحلة شاقة بين مختلف الأماكن : البيوت الواطئة وتلك المعلقة في الجبال ، والأديرة ، والمستشفيات ، والمصحات ، والمهاجر التي مرت عبرها المخطوطة ، تتنافس الكثير من الأطراف للحصول عليها لمصالح غامضة ... (الغلاف الخلفي) .

كما يحيي الغلاف الخلفي أيضا تحليلا للرواية ، حاول أن يقدم فيها وجهة نظره في الرواية ، وقيمتها النقدية ، وتعليقا نقديا يلخص فكرتها : " تذهب رواية " مي " / ليالي إزيس كوبيا إلى أبعد من ذلك كله في تحليلها لمشكلات العصر الخطير من بداية القرن الماضي إلى اليوم ، كوضع المرأة في المجتمعات الشرقية ... ومشكلة الذكورة ... ومعضلات الحداثة ... (الغلاف الخلفي)

كما يظهر لنا في الأسفل نبذة عن حياة الروائي وجوائزه الكثيرة ، كأن الغلاف يريد أن يوصل فكرة يؤمن بها الروائي وهي أن الانتصار في النهاية للأدب والأدباء رغم كل الجراحات .

ثانيا : عتبة العنوان :

تنهض تركيبية العنوان في رواية (مي ليالي إزيس كوبيا ثلاثمائة ليلة وليلة في جحيم العصفورية) على استراتيجية مغايرة للتراكيب العنوانية المألوفة إذ تفتح متناقضاته آفاق التأويل أمام المتلقي :

المكون الأول : (مي) .

المكون الثاني : (ليالي إزيس كوبيا) .

المكون الثالث : (ثلاثمائة ليلة وليلة في جحيم العصفورية) .

وتتدون اسقاطات العنوان المركزي في هذه الرواية عبر تماوج إشاري أجتزئ بعضه من المخطوط الأصلي للأدبية " مي زيادة " :

مي

إزيس كوبيا

ليالي العصفورية

تفاصيل مأساتي من ربيع 1936 إلى خريف 1941 .

كما تتناسل مدلولات المحنة مع تفاصيل المكون الثاني / ليالي إزيس كوبيا ، فالليالي تشير إلى الجانب المظلم والسواد الذي تغلغل في ماهية الأشياء وغلف مايحيط بها تقول "مي" : (يأتيني الهواء البارد من الفجوات أسمع صفير الرياح يشبه فحيح الأفاعي ، الخوف يربكني كشبح أسطوري ويضغط علي ... قبلت تقريبا بالقدر المشؤوم المسلط علي) (1)¹ ، وتقول في موضع آخر: (كل شيء يموت أمامي بهدوء ويتحول إلى رماد وحفنة يأس .. أغمض عيني لكي استرجع النياض الهارب ، أصاب بالاجدوى) (2) .

في حين يمنح إزيس كوبيا بريفا للعنوان مؤكدا على المكون الأول / مي ، فايزيس (isis) هي إله القمر لدى المصريين القدماء هي أم الطبيعة وأصل الزمن الأم المقدسة وزوجة إله العالم السفلي أوزوريس ، أنجبت ابنها حورس وساعدته على استعادة العرش ، وقد اعتبرها المصريون الآلهة الحامية في جميع أنحاء مصر ، يعني اسمها العرش ، تعد رمزا للوفاء والتضحية ، أما كوبيا (Kopia) ، فكلمة لاتينية تعني الوفرة والكثرة والغزارة والزيادة ، حتى أن اسم (إزيس كوبيا) يكاد يكون الترجمة الحرفية لاسم (ماري زيادة) ف (ماري) الصيغة الانجليزية لمريم ومعناها السيدة العظيمة كما ورد في قاموس المعاني ، وهذا بالضبط ما نضحت به " مي " من الخصوبة والوفرة في كل المجالات التي تقترن بها بفيض من الثقافة وتعدد للمنابر ، فقد كانت مي معشوقة من كل من تعرف عليها في زمن كان من الصعب العثور على امرأة ذكية ومثقفة وجميلة في الوقت نفسه .

فالعنوان الفرعي ، " ثلاثمائة ليلة وليلة في جحيم العصفورية " ، يعيد إلى ذاكرة المتلقي كتابا من الموروث القديم هو " ألف ليلة وليلة " فتحيلنا كلمة " ليالي " إلى ليالي " ألف ليلة وليلة " ، ويفترض أن يكون هناك مخاطب / متكلم ومخاطب / مروى عليه ، وهذا غير موجود ،

ويلتقي الكتابان لا في طريقة العنونة ، العدد والزمن ، فالمرأة هي الفاعلة فيهما ، كما أنها لم تكن امرأة عادية في كليهما ، وإلا لما وجدنا هذا الأثر خلف كل منهما ، ف "مي" التي تكتب حكاية جنونها مدافعة عن عقلها تقايل شهرزاد التي تقص حكاياها لتؤجل موتها في كل ليلة لليلة أخرى ، والرجل هو سبب الفعل ، فشهريرار كان سببا في قص حكايا ألف ليلة وليلة ، وجوزيف

1 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كوبيا ، ص : 63 .

2- الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كوبيا ، ص : 83 .

زيادة وما فعله ب "مي زيادة" كان سببا في كتابتها لمخطوطتها ، فيبدو لنا فعلا الكتابة والقص فعلي نجاة من موت محتوم ،موت مادي يسلب الروح في حالة شهرزاد ، وموت معنوي يسلب السمعة الطيبة في حالة مي " أكتب فقط لكي لا أموت بالجنون والجحود " (1)¹ .

أما نحويا فتنظم مفردات العنوان في بنية نحوية ممتدة على النحو الآتي :

↑ مي	↑ خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذه
↑ مضاف إليه	↑ ليالي إزيس كوبيا
↑	↑ خبر + مضاف
↑ في جحيم العصفورية	↑ جار ومجرور + مضاف

تلون العنوان بمساحيق الجملة الإسمية ، والإسمية " خاصة مميزة في بنية العنوان وجملته حتى تكاد تكون الخاصة الأساس في العنونة ، حيث الاسم يتعالى على الزمن وتحولاته ، وتوسل العنونة بالاسمية يضمن له الثبات وتختفي مسافة الاختلاف بين الاسم والعنوان بذلك في الوظيفة " (2) . كما تقتزن الجملة الاسمية بالهدوء والاستمرارية بما في ذلك من التقريرية من حيث تأكيد حدوث الشيء .

إذ للمضاف إليه (إزيس كوبيا) وظيفة أساسية هي التعريف بالمضاف (ليالي) المعرفة بالإضافة ، وأنه ماضيف لما قبله إلا ليفيد توضيح الدلالة وتأكيد المعنى بين ما هو سابق ولاحق. من شأن هذا هذا الامتداد النحوي أن يراكم دلالات إضافية اتخذت من الحذف مرتكزا ، ويمكن أن نعلل حذف المبتدأ في البنية السطحية ، برغبة الروائي في الاسراع بنقل الخبر إلى القارئ لأهميته واستقرار تفكيره عليه دون المبتدأ وإن كان المبتدأ موجودا بالقوة في البنية العميقة .

ثالثا : عتبات الفصول :

نجد الروائي " واسيني الأعرج " في روايته " مي ليالي إزيس كوبيا " قد قسمها إلى فصول عدة بعتبات يرتبط بعضها ببعض ، فنجده استهل روايته بإقتباسين لمي زيادة ، وآخر بالفرنسية ل " كامي كلوديل " ، تقول في الأول " مي زيادة " : أتمنى أن يأتي من ينصفني " ، فهذه

الرواية تتضمن في طياتها أمنية حقيقية للكاتبة التي عاشت الظلم والمأساة ، حيث أنصفت هذه الرواية مي فنشرت مخطوط مأساتها وأعدت لها صورتها الجميلة الأنيقة .

1 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كوبيا ، ص : 44 .

2 - عويس محمد ، (1988) ، العنوان في الأدب العربي النشأة والتطور ، ط1 ، القاهرة ، المكتبة الأنجلومصرية ، ص 35 .

أما الاقتباس الثاني: " أراني في وطني تلك الغربية الطريدة التي لا وطن لها " ، فهي تعكس مشاعر الغربة والمطاردة عند الكاتبة ، لأنها عندما عادت إلى وطنها ظلمت وخذعت وأرسلت لمصحة العصفورية ، وهذا يفسر سبب إصرارها على العودة لمصر لتعيش فيها ، بينما يشير الاقتباس الثالث كلام (كلوديل) التي تقول إنها : ظلمت وتركت تتعفن في ملجأ المجانين ، حيث تتقاطع حياة "كلوديل" مع حياة " مي زيادة " كونها زجت مثل "مي" في مصحة المجانين ظلما وقهرا من جهة ، ومع كونها مثقفة وفنانة من جهة أخرى .

يفتح واسيني الأعرج روايته بعنوان " في ملابسات مخطوطة ليالي العصفورية " (1) ، والذي يوحى بصعوبة تحصيلها وذلك من خلال استعماله لكلمة " ملابسات " ما يدفع بالقارئ إلى شغف اكتشاف الأسرار ، ليضعنا بعدها بشكل مباشر أمام المخطوطة ويتمثل بسرد الراوي الثاني ظهورا (واسيني الأعرج) ، والأول سيطرة (مي زيادة) ، في ظل عنوان " ليالي العصفورية تفاصيل مأساتي ، من ربيع 1936 إلى خريف 1941 " النسخة الأصلية الكاملة التي تم العثور عليها في صحراء الجيزة ، ودير عينطورة في بيروت ، فهي تبدأ ربيعا وتنتهي خريفا ، فهذا يؤشر على أن حياتها كانت ربيعا بكل ما يحمله من نضارة وجمال قبل دخولها العصفورية ، ثم تحولت إلى خريف بكل ما يحمله من ذبول بسبب دخولها للعصفورية .

يتضمن الكتاب عتبة أخرى مباشرة وهي : " بدأ الليالي " وفيه حديث وخالصة على لسان "مي" : (... أخرجوني من بيتي ، قبل الساعة الرابعة بعد الظهر ، وأوصلوني إلى مكاني في القطار ، وغابوا عني ، فبقيت جالسة حتى عاد الدكتور والرجلان الآخران . وعندئذ قام القطار. إذا نحن في منتصف الساعة السادسة) (2) .

تلي هذه الصفحة عتبة أخرى أسماها واسيني الأعرج ب " مريمك أنا يا الله ، فلماذا تخلت عني ؟ " ليلة 16 أيار / مايو 1936 وما تلاها (3) ، فهي إشارة إلى مريم العذراء وما تحمله من عفة ، والمصاعب التي واجهتها ، فلجأت إلى الله عزوجل .

ثم تأتي عتبة أخرى أسماها الكاتب ب " وانزويت تتأملني ، كأنك لم تكن معنيا بالآمي " ليلة 2 حزيران 1936 وما تلاها (4) ، فهو مشهد محزن حقا وذلك من خلال خذلان وتخلي أهلها وأحبابها عنها ، كأنها لم تربطها أي علاقة بهم من قبل .

1 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كويبا ، ص : 7 .
2 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كويبا ، ص : 51 .
3 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كويبا ، ص : 53 .
4 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كويبا ، ص : 119 .

ثم يتبعها الكاتب بعتبة أخرى أسماها ب " خصني بحضنك يا الله ، لكي أعرف أنني منك " ليلة 14 أيلول / سبتمبر 1936 وما تلاها (1)¹ ، لتدرك مي زيادة أن القدرة الإلهية هي الملجأ الوحيد للخروج من عمق الفوضى والمأساة والحزن .

ثم تليها عتبة أخرى تحت عنوان " سامحهم يا ربي ، فهم لا يعلمون " ليلة 28 كانون الأول 1936 وما تلاها (2) ، فهذه العتبة تتميز بالعمق والسمو والتعالي راجية من الله وتطلب السماح والمغفرة لهم ، فهي تدرك جهلهم .

ثم أتبع واسيني الأعرج روايته بعتبة أخرى أسماها ب " يا أبتاه ... بين يديك ، استودع روحي " ليلة 8 آذار 1938 وما تلاها (3) ، فهي مؤشر إلى انتمائها الديني ، فهي من أصول مسيحية ، كما تدل على مؤشر آخر ألا وهو حاجة المرأة إلى الرجل ، وهي الصورة المثالية للأب عادة .

ثم تليها عتبة أخرى التي عنونها ب " اغسليني يا أمي من دمي ، ودثريني بصدرك " ليلة 2 شباط / فبراير 1939 وما تلاها (4) ، فهذه العتبة تغوص في عمق النص ، كما نلتمس آخر همسات مي في احتضارها وهي تناجي أمها وحاجتها إلى حنان الأم والعطف البشري الذي افتقدته منذ دخولها العصفورية ،

يختتم واسيني الأعرج روايته بعتبة سماها ب " هي لم تمت ، لكنها شبهت لهم " ليلة أيلول 2017 وما تلاها ، (5) ، مستلهما من الآية القرآنية : (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) (6) ، فالكاتب أحدث تمازجا بين الديانتين ، وذلك من خلال ذكر واسيني الأعرج ل " مريم " من منظور مسيحي ، وذكر عيسى عليه السلام من خلال نص قرآني إسلامي ، مشيرا إلى أن " مي " خلدت بأدبها ولم تمت ، ومكانتها الأدبية لا تزال حاضرة حتى الآن .

رابعا : عتبة المؤلف :

يظهر اسم الكاتب أو المؤلف في هذه الرواية أعلى الغلاف الأمامي ، وهذه الفوقية تشير إلى هيمنة واسيني الأعرج على نصه ، ونجده أيضا قد وظف اسمه على الغلاف الخلفي ، مع ذكر الجوائز التي تحصل عليها .

خامسا : عتبة الاستهلال :

-
- 1 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كويبا ، ص : 173 .
 - 2 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كويبا ، ص : 217 .
 - 3 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كويبا ، ص : 265 .
 - 4 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كويبا ، ص : 301 .
 - 5 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كويبا ، ص : 331 .
 - 6 - سورة النساء ، الآية: 157 .

نجد الكاتب والروائي واسيني الأعرج إستهل روايته بعنبة أسماها " في ملابسات مخطوطة ليالي العصفورية (لا أعتقد أن مخطوطة شغلت بالي وبال الكثير من الباحثين ، مثل مخطوطة " ليالي العصفورية " ، لمي زيادة ، الضائعة منذ أكثر من سبعين سنة ، أجيال كثيرة تعاقبت ، راکضة في الاتجاهات بحثا عنها ، لكن من دون جدوى . هل لأن المخطوطة ضاعت حقيقة ؟ أم لأن قدرا أعمى شاء غير ذلك ، فرماها في بقعة مظلمة ليجعل من العثور عليها ، استحالة ؟) (1)1 ، واسيني الأعرج يبين لنا مكانة المخطوطة ، التي يبحث الجميع عنها ما يصيب القارئ بالدهشة من هذه المخطوطة ، وقد يسأل نفسه ما السر في هذه المخطوطة ؟ لماذا اختفت ؟ ومن أخفاها ؟ ... ، بهذا يصبح القارئ شريك الروائي في البحث عن إجابة لهذه الأسئلة الكبرى التي تقوم عليها ملابسات البحث عن المخطوطة . كما يحفز القارئ ويحسه بالشوق لكي يقبل على قراءة المخطوطة والرواية حتى للنهاية .

سادسا : عنبة النهاية :

في هذه الرواية نجد نهاية للمخطوطة أي ما كتبه " مي " على نفسها : " أغمض عيني لكي لا أرى شيئا غيره ، وجه أمي السخي الذي لم يجف فيه طليب طفولتها . أبتسم لها بصعوبة . يتمكنني إحساس بالتعب ورغبة لا تقاوم في النوم . تخرج كلماتي الأخيرة التي لا أحد كان يسمعا غيري :

- أنا بخير يا أمي ... ببعض الخير . اغسليني يا أمي من دمي ، ودثريني بصدرك " ،

انتهت يوميات ليالي العصفورية تمت صباح يوم الأحد في 19 تشرين الأول / أكتوبر 1941 (2). ففيه إشارة إلى الحزن والأسى الذي عاشته مي ، حيث أصبحت تطلب الموت الذي فيه خلاصها .

فلاحظ أن هناك توافقا في النهاية (في روايته مي) عند " واسيني الأعرج " مع النهاية عند الكاتبة " مي " (في مخطوطها) توافقا تاما وذلك من خلال الإشارة إلى الحزن والأسى الذي عاشته مي عند دخولها العصفورية بالاحتضار وطلبها للموت : " رأيتها فجأة تجلس قبالي على كرسي قديم . كان شعرها أبيض مشدودا بمسك خفيف ، من العاج الرمادي . كانت ملامحها متعبة ، كأنها لم تنم قليلا . يختلط صوتها الناعم الذي يخفي بصعوبة حشجة حزينة ، بفرقات الفحم الحجري الذي كان يحترق في أعماق المدخنة القديمة : أبقاني عنده شهرين ونصف شهر على مضض مني ، وأنا أطلبه بالعودة . حتى استكمل برنامجه في أمري ، فأرسلني إلى العصفورية ، بحتى استكمل برنامجه في أمري ، فأرسلني إلى العصفورية ، بحجة التغذية . وباسم الحياة ، ألقاني أولئك الأقارب في دار المجانين أحتضر على مهل ... " (3) . فهذه النهاية

1 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كويبا ، ص : 07 .

2 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كويبا ، ص : 327 .

3 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كويبا ، ص : 345 .

كانت تدفع بالقارئ لمعرفة مجريات الرواية ، وكان الهدف من ذلك هو انصاف" مي زيادة
"وإعادة الاعتبار لها بعد اتهامها بالجنون .

سابعا : عتبة الشكر :

جاء الشكر في آخر الرواية ، فوجد واسيني الأعرج يشكر كل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل القيم ، وصعولة جمعه ، وذكر أسماء من ساعده في البحث ، في سبيل الوصول للمخطوطة ، أو تعريفه بحياة مي زيادة منذ ولادتها حتى وفاتها ، ويؤمن الكاتب بأن الكتابة سلاح الكتاب لمواجهة جميع أشكال الظلم : " مازلت أؤمن وأنا أنهى " ليالي إزيس كوبيا" بأن الرواية أصبحت اليوم أهم سلاح في وجه طغيان النسيان وهزيمة الذاكرة ، لتحرير التمثال العالق منذ قرون ، بأعماق الصخرة الصماء " (1)¹ .

1 - 5 - تجليات التناص في رواية " مي ليالي إزيس كوبيا " لواسيني الأعرج .

1 - التناص الديني :

ويقصد به تداخل نصوص دينية مختارة عن طريق الاقتباس أو التضمين من القرآن الكريم أو من الحديث النبوي الشريف مع النص الأصلي والرواية ، بحيث تنسجم هذه النصوص مع السياق (2) ، فقد وردت نصوص دينية من القرآن الكريم ، بالإضافة إلى توظيف مجموعة من النصوص تشير إلى الديانة المسيحية على اعتبار أن التراث المسيحي جزء لا يتجزأ من الثقافة الاسلامية ، وهذا ماجاء على لسان الشخصية الرئيسية " مي زيادة " في مواطن مختلفة من الرواية ، إذ نجدها تستنجد " بالله وبأنها القديسة مريم " وتدعوه لأن ينقذها من عذابها في جحيم العصفورية ، حيث تقول : " مريمتهك أنا يا الله فلماذا تخليت عني ؟ " (3) ، فهي في قمة الكآبة والحزن في أول أيام تقضيها بمستشفى المجانين " العصفورية " .

ثم تواصل " مي تدوين حزنها على صفحات مخطوطة " ليالي العصفورية " مستمدة بصيص أملها من وازع ديني فهي ملاذها الأخير :

" موجودة وكأني لم أكن .

لاشيء الآن ،

سوى الموت كتابة الغياب ،

جهنم الأرض ،

العصفورية سجن قبل أن تكون مستشفى ،

1- الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كوبيا ، ص : 350 .
2- أحمد الزغبى : التناص نظريا وتطبيقيا ، مؤسسة عمون ، عمان ، الأردن ، 2000، ص 37 .
3- الأعرج واسيني ، رواية ليالي إزيس كوبيا ، ص : 53 .

قضبان النوافذ في السجن تتقلب أوتار قيتارة .
لمن يعرف أن ينفث في الجماد الحياة .
لقد وضعوا بيني وبين السماء والناس الذين أحب ،
حجابا سميكا ،
أصرخ بكل ما أملك من ألم الجريح ،
بلا أمل كبير في أن يسمعني الله أو شخص ما ،
مريمتك أنا يا الله فلماذا تخليت عني ؟ (1)¹ .

ثم تواصل " مي " سرد يومياتها الحزينة على المخطوطة مستحضرة ذاكرتها وما مر عليها
في سنين طوال قاربت 56 سنة ، والتناسل الذي يتجلى من خلال تأثرها بتربيتها المسيحية ،
ففي واقعة تحكي في حوار مع العاملة عند تقديم الأكل لها فترفض أن تأكل :
" أرميه بعيدا حتى لا أصاب بالغثيان ،
أو أتركه في مكانه حتى تأتي العاملة ،
الخالة مادلين فتأخذه وهي تتمم :

- حرام عليك يا ابنتي ، هذا انتحار
- معليهش يا خالة مادلين ، ربما كان هذا أهون من مذلة الجنون .
- لكنك تنتحرين يا ابنتي ، والرب لا يسعده ذلك .
- يا خالة ، وين نحنا وين الرب ؟
- منسيون في هذا الظلام الفادح (2) .

تواصل " مي " سرد يومياتها الحزينة البائسة فهي تستلهم من الأدعية الدينية المسيحية أو
الإسلامية بناء على خلفيتها العقائدية وكذلك في الرواية نجد بعض الآيات القرآنية ، أو بعض
كلمات الإنجيل ، حيث استطاع الروائي محاورة النص الغائب والممثل في القرآن الكريم ، فقد
يعتبر مصدرا أساسيا ، ونجد ذلك في مواضع مختلفة سواء تعلق الأمر باستحضاره لآيات
قرآنية أو أحاديث نبوية شريفة ، أو حتى شخصيات دينية ، هذا ما سنحاول الفصل فيه :

1- التناسل مع القرآن الكريم :

لقد وُصف واسيني الأعرج بكثرة النص القرآني من خلال توظيفه للعديد من الكلمات
والعبارات المأخوذة من القاموس القرآني ، من ذلك قوله تعالى : (ثم قست قلوبكم من بعد
ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وأن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما

1 - الأعرج واسيني ، مي ليالي إزيس كويبا ، ص : 54 .

2 - الأعرج واسيني ، مي ليالي إزيس كويبا ، ص : 57 .

يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون (1¹).

واسيني الأعرج وظف هذه الآية الكريمة بغرض تصوير مشاهد الظلم وقسوة قلوب عائلة "مي" فهي أشد من قسوة الحجارة ، إذ ترمي فلذة كبدها في مستشفى المجانين وهي بكامل قواها العقلية من أجل القليل من أموال الدنيا ، وذلك من خلال قولها :

قلبي ممتلاً رمادا .

هويتي ممزقة لكنها حية ،

كل ليلة ألملها ، وأرقعها ،

فيأتي صباحا يفرطها بكلمة واحدة ...

بحجة التغذية وباسم الحياة ،

ألقاني أولئك الأقارب في دار المجانين ،

أحتضر على مهل وأموت شيئاً فشيئاً كحشرة ،

لست أدري وإن كان الموت سريعاً هينا ؟

أم أن الموت البطيء طيلة أسبوع من التغذية القهرية ... ،

فذلك موت لا أظن أن ينسانا .

يحتمل الإصغاء برباطة جأش إلى وصفه (2¹) .

لتوافق الصورة ومعنى الآية القرآنية ، وبذل شكل القرآن ملاذا روحياً ترتاح له النفس .

كما ويستعين الروائي بنص ديني آخر جاء على لسان "مي" وهو يجسد فكرة أن الكائنات الصغيرة من البعوضة حتى الفيل هي عبارة عن روح وجسد ، كما النفس الانسانية ، فكل مس بأي منها هو مس بالحياة التي قدسها الله تعالى : (من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً) (2) ، وتقول "مي" وهي تروي قصة قدوم طبيب المجانين إلى البيت رفقة ممرضين بتواطؤ ابن عمها وحببيها جوزيف من أجل أن يأخذها إلى مستشفى المجانين أو العصفورية :

" على الرغم من علامات الموت التي ارتسمت في كل مكان ،

رأيته في تلك اللحظة ؟

أنقضني ياربي مما أرى ،

هل هو نفس الكائن الذي احتضن وجهي وهو يوشوش في أذني :

1 – سورة البقرة ، ص : 74 .

1 – الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كويبا ، ص : 58 .

2 – سورة المائدة ، الآية 11 .

حبيبة قلبي أنا هنا ، معك حتى آخر العمر ...

وهو يسحبني ،

دفعت بالطولة نحو رأسه بكل عنف ،

فأدمت خده الأيسر وجبهته .

لو كنت قادرة على قتله ،

لما ترددت ثانية واحدة ... (1) ¹ .

اقتبس الروائي الآية القرآنية ليدل على أن الإنسان يقتل في هذه الدنيا دون أن يكون هناك سبب لقتله وقد جاءت الآية كدليل شرعي على نهي قتل الإنسان .

فبعدها كان يستحضر واسيني الأعرج الآيات كما هي وبطريقة مباشرة عن طريق الإقتباس، إتجه إلى تعالق بعض العبارات مع النص القرآني أو حتى الحديث النبوي الشريف ، كما ويحضر التناص من خلال العناوين الفرعية في الرواية ، من ذلك : (و خلقت الأسماء كلها) ، فقد عمل الروائي على امتصاص النص الغائب في قوله تعالى : (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) (2) . ليضفي بعدا دلاليا وليلفت إنتباه القارئ ، حيث عمل على امتصاصه إشاريا ، ليأتي مناسبا للموقف الذي يعرضه .

2 - التناص مع الحديث النبوي الشريف :

ويأتي استحضاره للحديث وذلك أثناء حوار دار بين " روز " و " الكاتب " ، أثناء تحضيرها، بقوله : (وين راح تروحي ؟ أي بلد تذهبين نحوه يقول في أعماقه : أنتم السابقون ونحن اللاحقون خليك . خليك في أرضك) (3) ، لتناص العبارة والحديث النبوي الشريف ، في قوله صلى الله عليه وسلم : (السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون) (4) .

وقد ذكر هذا الحديث أثناء زيارة مقابر الموتى ، ليشارك الحديث ومعنى العبارة فيكون الموت آت لا محالة وهو مقدر علينا .

إن انفتاح نص الرواية على إشارات ورموز دينية متعددة وعلى ديانات مختلفة أدى إلى خلق فضاء ديني تستوعبه الشخصية البطلية " مي " ومن جهة أخرى فإنها أيضا انفتحت على ثقافات أخرى .

3 - التناص مع القصص القرآني :

لقد وظف الروائي مجموعة من القصص الدينية مستوحاة من القرآن الكريم ، من ذلك قصة " آدم وحواء " التي شغلت حيزا كبيرا داخل الرواية ، فقد عمل الروائي على استحضارها ثم أعاد

1 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس وبيا ، ص : 74 - 75 .

2 - سورة البقرة ، ص : 31 .

3 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كويبا ، ص : 213 .

4 - محي الدين النووي الشافعي ، الأذكار من كلام سيد الأبرار ، مصر ، القاهرة ، 1982 ، ص : 115 .

إنتاجها من جديد بما يناسب الموقف الذي يعرضه ، من ذلك ما تحدث به " روز " عن البرتقالة التي لم تتوقف عن الحديث عنها :

" في تحسين هذه الفاكهة المجنونة .

التي لا أحد يعرف أنها كانت .

بدليل التفاحة عندما رمي بآدم وحواء نحو الأرض .

لم تنتقدهما تفاحة الغواية هذه المرة (1¹) .

ومن خلال الطرح الذي صرحت به البطلة أثناء تحاورها مع " ديف " يظهر استحضار قصة " آدم وحواء " التي تم تقديمها رواية مخالفة بما جاء في التفاسير القرآنية ، إذ عوضت تفاحة الخطيئة ببرتقالة اللذة وقد ربط فاكهة التفاحة برمز القسوة والصلابة ، إذ يقول :

" يفترض أن يقال تفاحة آدم " (2) .

وأیضا عندما :

" تحسس آدم تفاحته النابتة في حلقه ،

قرر أن لا يأكلا ،

خاف آدم أن يموت هذه المرة اختناقا (3) .

والبرتقالة لها صلة بالغواية واللذة وهي صورة عن الجنس اللطيف إذ يربطها بحواء في قوله :

" يفترض أن يقول برتقالة حواء " (4) .

وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم عند قوله تعالى : (وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (35) فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كان فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين (39) (5) .

فالروائي واسيني الأعرج يشير إلى حقيقة مفادها أن " حواء " هي من قامت بفعل الغواية وأن آدم كان ضحيتها من حيث ممارستها لفعل الإغواء .

فالروائي إستعان بقصة " آدم وحواء " كما وردت في الرواية المسيحية مع توظيفه سرد غير لائق ، وهو ما جعل القارئ يغوص في متاهات ليكشف حقيقة هذه القصة ، وهذا الرأي الذي تبناه واسيني الأعرج هو فكر مسيحي بحت .

1- الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كوبيا ، ص : 247 .

2 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كوبيا ، ص : 247 .

3 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كوبيا ، ص : 248 .

4 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كوبيا ، ص : 248 .

5 - سورة البقرة ، الآية ، 35- 36 .

كما يشير الروائي إلى قصة " قابيل " و " هابيل " ، الجريمة الأولى على وجه الأرض كحرب شبيهة بالحرب الأهلية على لسان الروائي : " الرجل كان طبيبا قبل حرب قابيل و هابيل الدموية ، الدفن هو الافتقاء النهائي من الوجود " (11) .

وهو ماتشير إليه الآية القرآنية في قوله تعالى : " وائل عليهم نبا ابني آدم لالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين (27) لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بياسط يدي لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين (28) إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين (29) (2)

فالروائي واسيني الأعرج لم يصرح بأحداث القصة ، وإنما استعان بالآية القرآنية من أجل أن يوضح للقارئ إلى الجريمة البشعة التي اقترفها قابيل في حق أخيه هابيل ظلما ، فهو بذلك يشير إلى أن الحرب موجودة منذ الأزل .

4 - التناص مع الشخصيات الدينية :

وظف الروائي شخصيات دينية فمن أمثلة ماورد " مريم البتول " ، فالروائي استحضرها من أجل أن يعقد مقارنة بينها وبين شخصية " مي " التي كانت تناجي الله باسم مريم وذلك من خلال قولها :

" قضبان النواذ في السجن تنقلب أوتار قيتارة ،

لمن يعرف أن ينفث في الجماد الحياة .

لقد وضعوا بيني وبين السماء والناس الذين لأحب .

حجابا سميكاً .

أصرخ بكل ما أملك من ألم الجريح ،

بلا أمل كبير في أن يسمعني الله أو شخص ما :

مريمتهك أنا يا الله فلماذا تخليت عني ؟ (3) .

كما يستحضر الروائي شخصية ، " المسيح عليه السلام " وجاء ذلك على لسان " مي " حينما طلبت من " ميرو " الرسام أن يرسم لها شخصية " بوريس فيان " في شكل سيدنا " المسيح عليه السلام " ، فنقول : " تمنيتك أن ترسمه في شكل سيدنا المسيح ، لأنه مات مقهورا " (4) .

يشهد الروائي إلى الصورة التي تتشابه فيها كلا من الشخصيتين ، وهو ما جعل " فيرجي " يستحضر صورة المسيح عليه السلام لأنها الأنسب لشخصية " بوريس " وهذا ما صرحت به

1- الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كوبيا ، ص : 307 .

2- سورة المائدة ، الآيات 27- 28- 29 .

3 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كوبيا ، ص : 93 .

4 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كوبيا ، ص : 168 .

في قولها : " هو شكل سيدنا المسيح ، يمد يده نحو المطلق . أنت أيضا أحببت هذه اللوحة ولهذا كانت طويلة لأنها تصعد نحو التسامي والهشاشة أيضا " (11) .

5 – التناص التاريخي :

نجد الروائي واسيني الأعرج وظف التاريخ العربي الحديث ، في قوله :
" أتساءل أحيانا إذا لم تكن حياة مي ،
جزءا من حياتنا العربية المقهورة اليوم ،
ومطية لتكون شركاء في زمن بداؤه هي ، وجيلها ، بشجاعة ،
وسط ذكورة متسلطة ،
خربتها الحروب والهزائم المتكررة والخيانات المتعاطمة (2) .

فالكاتب يشير إلى التاريخ العربي الحديث والمعاصر وما تضمن من هزائم وخيانات متكررة بداية بالاستعمار ثم الحربين العالميتين ثم الحروب العربية الاسرائيلية ، وصولا إلى خيانات التطبيع .

كما نجد أن الكاتب وظف التاريخ العالمي الحديث ، في قوله :
شجاعته وإصرارها على أن تكون في مجتمع دوري ،
متخلف ومصاب بالمازوشية والشيزوفرينيا ،
في أدنى درجاتها البدائية .

وفي عز حربين عالميتين مدمرتين لدواخل الناس ، قبل خوارجهم (3) .

كما نجد أن الكاتب وظف الحرب الأهلية بين الطوائف اللبنانية ، بداية من الثمانينات من القرن الماضي في قوله :

كانت المخطوطة هنا في الدير ،

على ما سمعت من الأخت الكبيرة ،

جاء بها شخص في عز الحرب الأهلية ،

من بيتها في الفريكا الذي تم تهديمه ،

وأخفاها هنا لدى الأخت الكبيرة التي توفيت قبل سنوات (4) .

1 – الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كويبا ، ص : 169 .

2 – الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كويبا ، ص : 16 .

3 – الأعرج واسيني رواية مي ليالي إزيس كويبا ، ص : 17 .

4 – الأعرج واسيني رواية مي ليالي إزيس كويبا ، ص : 25 .

6 - التناص مع الأمثال الشعبية :

عمل الروائي " واسيني الأعرج " على الاستعانة وتوظيف بعض الأمثال الشعبية التي شكلت منبعاً أساسياً لرصد الحالة التي يعيشها الفرد ، وهذا التوظيف للأمثال لم يكن اعتباطياً وإنما تم تضمينه من أجل الإفصاح عن قضايا معينة والتعبير عن " واسيني الأعرج " في روايته :

أنت تضربني على اليد التي توجعني (11) .

ويستخدم هذا المثل عندما يتعلق الأمر بقيام شخص ما بفرض الأمر على شخص آخر بحيث لا يترك له خيار آخر ، مما يعني الإصرار على فرض الرأي وقد تجسد في الرواية على لسان " روز " في قول الراوي :

" عندما طرحت الموضوع على روز ،

أول مرة ،

قالت بلهجة مصرية ،

أنت تضربني على يدي اللي بتوجعني ،

شكراً لأنك أشركتني ، من حيث المبدأ " (2) .

وقد ضمن الروائي هذا المثل ليتناسب مع طبيعة المواقف التي تعيشه الشخصيات في تلك الفترة.

" يا ملعون (3) .

ويستخدم هذا المثل عندما يتعلق الأمر بقيام شخص ما بإيداء إعجابه واندھاشه من فكرة أو طرح شخص آخر ، ومن شدة هذا الإعجاب يدعو الشخص الآخر بالملعون تعبيراً له عن إعجابه بدهائه وخبثه ، وقد تجسد في الرواية على لسان " روز " في قولها للراوي :

" في سؤالي شيء من الخبث المقصود :

- هل قرأتني سيرتها : ليالي العصفورية ؟

أو عندك فكرة عنها ؟

ضحكت ، قالت :

تختبرني يا ملعون ،

لا طبعاً لم أقرأها ، لأنها ببساطة غير موجودة ،

باستثناء بعض النصوص والفقرات الهاربة من النص الأصلي ،

1- الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس وبيبا ، ص 14 .

2 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كويبا ، ص 14 .

3 - الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزيس كويبا ، ص : 17 .

ولا أدري حتى كيف وصلت إلينا (11) .

فمن خلال حديثنا ، نجد أن واسيني الأعرج قد انفتح على النصوص الأدبية الجزائرية والعربية والغربية وامتزجت جميعها في نص واحد ، حيث تقاطعت معها بكيفيات مختلفة وذلك بحسب الموضوع المراد الحديث عنه .

1 - الأعرج واسيني ،رواية مي ليالي إزيس كوبيا ، ص : 17 .

ب - قراءة في رواية " سيرة المنتهى ، عشتها ... كما اشتهتني ."

1 - الشخصيات التاريخية والمتخيلة في رواية سيرة المنتهى لواسيني الأعرج .

2 - الأحداث التاريخية والمتخيلة في الرواية .

3- العتبات النصية في رواية سيرة المنتهى لواسيني الأعرج

4 - تجليات التناس في رواية سيرة المنتهى لواسيني الأعرج .

أولاً : الشخصيات التاريخية والمتخيلة في رواية " سيرة المنتهى ... عشتها كما اشتهنتني " لواسيني الأعرج :

في رواية سيرة المنتهى العديد من الشخصيات ، منها التي وجدت حقا في حياة الكاتب ، هم أفراد أسرته ، كما نجد شخصيات أخرى واقعية لكنه تخيل لقاءه بها ، فواسيني لم يتحدث عن ذاته بطريقة مباشرة بل استدعى هذه الشخصيات ليصور نفسه من خلالها ، فهذه الشخصيات ماتت جميعها ، فهو حكى سيرته على لسان هذه الشخصيات .

فواسيني الأعرج اعتمد على عديد من الشخصيات لتقوم بوظيفة السرد ، ولكي لا تطغى ذاتيته ، نبدأ ب :

1 – حنا فاطنة :

هي جدة واسيني بطل الرواية التي اختارته لتقص عليه بطوليات جده " قصصها عن جدي الموريسكي سيدي علي برمضان إلخو الملقب بالروخو عندما تستحضره لي كنت أراه وأشعر به أيضا كأنه يراني بكل بهائه ، فارسا حيا وعاشقا نبيلًا عرفت منها أسماء الأحصنة التي ركبها، والأراضي التي غزاها والمخطوطات التي امتلكها قلوب النساء التي سكنها لم أكن سوى لزعر الحمصي ، مدلل حنا فاطنة " (11) .

كانت تهتم كثيرا بواسيني لأنه يسمع كلامها " كنت فوق الكل ، كنت بالنسبة لي الطفل المدلل الذي كنت أحبه جدا بسبب واحد وبسيط ، فقد كنت تسمع لي وتنفذ ما كنت أطلبه منك ولا تتردد لحظة واحدة (2) . فواسيني الأعرج يشيد بوصاياها ونصائحها التي سكنت داخله ، وعاش كامل حياته ، وهو متأثرا بها " فجأة سرى في أعماقي صوت غريب وضخم قليلا ، جاء في شكل طنين ثقيل قبل أن يصفو ويتحول إلى صوت يشبه صوت حنا فاطنة (3) ، وهو يحمل في طياته عبارات التشجيع والتقدم . " أمش في خط مستقيم فقط وسترى فجوة النور التي توصلك إلى مبتغاك ، لا تغير ما خط لك وإلا ستسقط في بحر التيه الذي لن تستطيع عبوره أبدا ، كما أمر الصوت ، مشيت في عمق النفق الطويل حتى انتفت الظلمة والنور المعمي للأبصار ، فوجدتني وجها لوجه في مواجهة جبل النار (4) .

فواسيني يعتبرها معلمه الأول فهي تعتبر سيدة الحكاية " حنا فاطنة كانت قريبة مني لدرجة التماهي معها ، كانت سيدة الحكاية ، وهذا وحده كان كافيا لألتصق بها نهائيا ، أصبحت أنتظر الليل بفارغ الصبر فقط لأسمع قصص جدي الأندلسي وهي ترويها بطريقتها لدرجة كانت تدخلني بسهولة إلى عالم لم يكن مجرد تخيل ولكنه كان حقيقة أمامي " (5) .

1 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 168 .

2 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 171 .

3 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 21 .

4 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 21 .

5 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 110 .

بالإضافة إلى كونها معلمه الأول " في هبل الحكاية ، جعلتني أرى بعيني وقلبي وعقلي كل من أكلتهم الحروب المقدسية والمنافي الفلقة قبل خمسة قرون ، أرى جدي الروحو بلباسه وحياته ونسائه كما لو أنه كان أمامي (1)1 .

2 – ميمما أميراز :

وهذه الشخصية هي أم الكاتب ، فقد لعبت دورا حاسما في تكوين واسيني ، ميمما أميراز كان اسمه يعني في اللغة الأمازيغية ، إلهة المطر وقوس قزح (2) ، فكانت أم لستة أطفال ، فأنجبت ثلاث بنات قبل أن ترزق الذكور ، لقد تمننت أن ترزق بولد وذلك من خلال قولها : " فقد كان همي أن يرزقني الله ذكرا لكي تصمت نساء أعمامك وأرتاح من سخريتهم (2) .

فواسيني الأعرج يعتبرها نموذجا للوفاء والقوة ، فقد كانت بمثابة الرجل الثاني ، ومن هذا فقد أنبتت نفسية واسيني على مبدأ دافع عنه طوال حياته ألا وهو انصافه للمرأة .

3 – مينا :

وهي الشخصية التي أحبها واسيني الأعرج ، فقد ظلت هذه الشخصية عالقة في ذهنه ، مينا هذه الحبيبة التي منحتة ذكريات ومشاعر وعواطف ترسخت في وجدانه ، فهو لا يزال يتذكر كلماتها " هو عطري معك ، تذكرني فقط ، ربما لم أكن لك بالشكل الذي أردته لكني لم أكن لغيرك أبدا " (3) ، فقد عاشت قصة حب طويلة مع واسيني لكن الفترة الأخيرة تعمدت الابتعاد عنه وتزوجها سي الحبيب .

فنجذ واسيني الأعرج منذ بداية روايته يتحدث عن مينا ويعبر فيها عن ألمه وشوقه ، يقول : " أول حب أتذكره جيدا ، بل بأول تجربة حسية وعاطفية مع مينا أو أمانة " (4) .

4 – ميغيل دي سرفانتس :

وهي الشخصية الأدبية التي وظيفها واسيني الأعرج في روايته سيرة المنتهى فقد اعتبره جده اللغوي ، لقد التقى واسيني الأعرج بسرفانتس في مغامرته وكان سعيدا وذلك من خلال قوله : " اعتبرتك جدي أو في صورته وتجلياته ، انتميت لك كما ينتمي عاشق اللغة لكاتب يشعر أنه خرج من ضلعه وخوفه وانشغالاته " (5) .

- 1 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 78 .
- 2 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 86 .
- 3 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 29 .
- 4 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 430 .
- 5 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 362 .

5 – جده الروخو :

وهو الشخص الذي كان مرشده ودليله وساعده على تسلقه جبل تيغراو " شعرت بيد قوية كأنها تكلمني ، دافئة كيد امرأة ، ثم سحبني نحوه بخفة وقوة ، رجل مستقيم كخنلة ، ملفوف في لباس أبيض كما النساء الشاويات عندنا ، وجهه ناصع " (11) .

يعتبر الجد الروخو هو رمز من رموز العذاب والألم الذي عاشه المسلمون إثر سقوط الأندلس وذلك من خلال محاكم التفتيش " يبقى المعذب على حاله تلك حتى الموت ، كنت أعرف الكثيرين ممن نجوا قد جنوا في النهاية بسبب هذا اللون من التعذيب الذي كنا نسمع به ولم نره ... إلى هذا الحد وصلت الأحقاد يا جدي بين الناس عاشوا قرونا مع بعض " (2) .

فالروخو يقوم بإطلاع واسيني على تاريخ المسلمين في الأندلس بعد سقوطها ومدى ظلم النصرانيين وتجردهم من الإنسانية .

فشخصية الروخو هي شخصية مشكوك في وجودها ، حتى وإن وجدت فهي متخيلة في هذا النص ، فلقاءه به هو قمة التخيل ، أما سرفانتس فهو شخصية تاريخية وجدت فعلا ، يشكل لقاءه الجانب المتخيل في هذا النص .

6 – مولاي السالك :

فهو مرافق لواسيني الأعرج في رحلته نحو المسالك المؤدية إلى جبل النار والذي يعتبر مكان خيالي : " كان مولاي السالك كما سمعت المنادين له ، ذو اللحية البيضاء ، يمد لي يده ويسحبني نحوه ، نحو بوابة النور التي انفتحت على كل الجهات حتى أعماي ضوءها " (3) .

7 – رامي :

ابن عم واسيني ، وكان هو سبب تعرفه على مينا ، " وقد عرف بقلبه الطيب ، وهو من أبناء أعمامي الذي يسأل عنا ويحبنا بقلبه " (4) ، " يكن أميا فقد وصل حتى القسم النهائي وغادر بسبب عركة اختلقها بينه وبين السيد بورصالي ، أستاذ الرياضيات ، ليتوجه نحو التجارة والتهرب هو يسمي نفسه رجل أعمال حتى في جواز سفره متوب تاجر حر " (5) .

8 – عزيز :

-
- 1 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 27 .
 - 2 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 64 .
 - 3 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 23 .
 - 4 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 271 .
 - 5 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 272 .

فهو الأخ الأصغر لواسيني الأعرج ، تلقى خبر وفاته وهو في الغربية ، وقد تأثر كثيرا بموته وذلك من خلال قوله : " يكفي الدنيا ليست بهذا القصور ، البارحة عنما فتحت الخزانة ، وجدت بعض ألبستك المتداخلة ، ومعاطفك الصوفية وطاقمك الأبيض ... كل شيء يقول بأنك كنت هاهنا .

9 – زهور :

وهي الأخت الصغرى المدللة لواسيني الأعرج وذلك من خلال قوله : " زهور أصغر أخواتي وأكثرهن شطارة ، كانت لا تترك أبدا أغنامها التي استرت جزءا منها حنا ، حتى تكون بينها وبينهم ألفة كبيرة (1¹) .

10 – شافية قارة :

وهي الشخصية التي أعجب بها واسيني الأعرج في طفولته وطلب من رامي ابن عمه مساعدته من أجل إثبات مدى حبه لها ، وذلك من خلال قوله : " بعفوية حكيت له قصتي مع صديقتي شافية قارة التي أشعر أنها تحبني ولكنها لا تتكلم وأنا أيضا لا أتكلم " (2) .

11 – أحمد :

وهو والد واسيني الأعرج ، قضى معظم حياته في الغربية ، لكن شئت الأقدار أن يعود إلى قريته ويموت في السجن إثر اعتقاله من طرف الإستعمار ، وذلك من خلال قوله : " وتذكرت يوم القبض على والدي ، وكيف هددوا بقتله أمامنا " (3) .

2 – الأحداث الحقيقي والمتخيلة في رواية " سيرة المنتهى ... عشتها كما

اشتهدتني " لواسيني الأعرج :

رواية سيرة المنتهى رواية سير ذاتية ، تقوم على خاصية التذكر والاسترجاع لأحداث واقعية عاشها الروائي واسيني الأعرج ، كما أنها تنتقل بنا إلى عوالم متخيلة كعروجه لسدرة المنتهى ، والتقاءه بشخصيات تاريخية كابن عربي وسيرفانتس ، ومصادفته هناك لجده الروخو.

فواسيني الأعرج تعمد المزج بين عالمين ، واقعي معاش وغيبي روحاني ندركه بالتأمل والحلم .

أ – الأحداث التاريخية :

1 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 157 .

2 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 267 .

3 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 276 .

بما أن السير هي تسجيل وتوثيق بالضرورة ، فإن هذا يجعل الرواية حاضنة لأحداث ووقائع مختلفة ، وعلى الرغم من تعدد السير في اصطلاحها العام إلا أنها تنحصر في النوع الأكثر ذيوعا وهي السيرة الذاتية " وهي نوع سردي خاص وحيوي من أنواع السرد السيربي " (1) ، والأمثلة في هذه الرواية عديدة ، نحو قول واسيني " رأيت ذنابا كثيرة في صغري كلها كانت تخيفني ذئب واحد ظل في ذاكرتي يخترق أحلامي في كل مرة رأيته وأنا أرافق زهور أختي وهي تركض وراء أغنامها خوفا من الذئاب " (2) ، وقوله أيضا : " ارتعشت قدماي واصطكت أسناني وتذكرت يوم القبض على والدي وكيف هددوا بقتله أمامنا " (3). فالكلام في هذين المقطعين ينسب للبطل وهو نفسه السارد .

فينبغي علينا التنويه أن ضمير المتكلم ليس معيارا على أن العمل يعتبر سيرة ذاتية ، فهناك سير تستخدم فيها ضمير الغائب ، وهذا ما صرح به فيليب لوجون حين قال : " حقيقة أنه يمكن أن يكون هناك تطابق بين السارد والشخصية الرئيسية في حالة الحكبي بضمير الغائب " (4) .

كما نجد الروائي واسيني الأعرج في روايته يوظف تقنية الاسترجاع والرجوع للماضي ، فيستعيد الروائي أحداثا عديدة عاشها منها السعيدة كقوله : " نسيت الحادثة بسرعة لأنني في النهاية حصلت على تهنئة كانت يومها أعلى التهنئات العلمية " (5) ، ومنها التعيسة والحزينة من خلال تعبيره عن تضحية أمه " تعبت كثيرا ثم نزعت حذاء الميكا البلاستيكي القاسي ، رأيت بأم عيني يومها جلدة الرجل التحتية تنسحب من رجلها وبقيت ملتصقة بالحذاء مخلفة وراءها بقعة حمراء من اللحم الحي ، سلخ الجلد لم تتأوه أبدا بعد أن تحملت الأم نزع حذاءها وهي تكابر ماعلي والويا حبيبي أنا بخير روح وليدي اقرأ باش يرضى عليك باباك أحمد وسيدي محمد الواسيني " (6) ، فالروائي يتحدث عن والدته ميما أميزار ومعاناتها ، ففي هذا المشهد الاسترجاعي يتذكر واسيني معاناة الوالدة وكيف كانت تحفزه على الدراسة ، حتى أصبح ماعليه الآن .

وتبقى الأحزان تخيم على ذاكرة الروائي وذلك من خلال فقدانه للأحبة ، فيقول عن فراق شقيقه عزيز " لقد خذلتك السنوات بسرعة يا ابن ألم تكن تعلم أن الموت سيقرب كل المعادلات وسيختارك الرقم الواحد في الألف بعد الموت (7) ، فقد ظل الحزن مهيمنا على ذاكرة واسيني ، خاصة تلك التي تتحدث عن وفاة جدته حنا فاطنة ، شقيقته زوليا وحبيبته مينا .

نجد الروائي واسيني الأعرج اعتمد على آلية الاسترجاع والتذكر لأحداث شخصية وأخرى جماعية ، هذا بالنظر إلى المتن أما خارجه فهناك العديد من النصوص التي توجه القارئ وتدل

1- محمد صابر عبيد : الذات الساردة سلطة التاريخ ولعبة المتخيل ، دار نينوى ، سورية ، دط ، 2013 ، ص : 5 .

2 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 66 .

3 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 99 .

4 - فيليب لوجون : السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي ، ص : 25 .

5- الأعرج واسيني : سيرة المنتهى ، ص : 250 .

6 – الأعرج واسيني : سيرة المنتهى ، ص : 167 .

7 – الأعرج واسيني ، سيرة المنتهى ، ص : 126 .

على الجانب التسجيلي ، بداية مع الإهداء الذي جاء فيه " ميتر الحبيبة ... متعب إنها علامات النهاية " (11) . فإن أول ما يتبادر لذهننا هي ميتر آلهة الشمس في الحضارة الفارسية القديمة، أو أنها شخصية خيالية تستحوذ على ذهن الكاتب ، لكن عندما نقرأ " ميتر ... ميما الصغيرة شكرا ،لولاك ما كانت هذه السيرة وماكان هذا المنتهى " (2) ، نجد أن الوالدة هي المقصودة في الإهداء ، فقد جعلها في مقام الآلهة تضاهاها في العطاء والنور .

ونجد في الإهداء الآخر الذي عنونه ب " حبيبي ومولاي الجليل – سيدي علي برمضان الكوخو " (3) ، نجد خطابا صريحا موجها للجد " تستحق أكثر من هذا يا جدي الأعظم " (4) ، وعند انتقالنا للعناوين الرئيسية يتضح لنا أنها عنونت بأسماء أحبته الذين شكلوا مادته الحكائية (جده الروخو – ميما أميزار – حنا فاطنة – القديسة ميما) .

وتشمل سيرة المنتهى – عشتها كما اشتهنتي – على العديد من القرائن الدالة على واقعية السرد ولكن هذا لا يحرمها من الخضوع لسلطة الخيال .

ومن بين ما استحضره من التاريخ في روايته " سيرة المنتهى " ، هو دخول المسلمين الأندلس . على النحو الذي نجده في حوار جمع السارد الشاهد بجده الروخو : " يا جدي ، لكنها لم تكن أرضكم . دخلتموها غازين كغيركم . ماذا كان بإمكان طارق أن يفعل سوى أن يرمي بجده نحو الموت في آخر قفزة شرف انتحارية . كلفوه بما لم يكن قادرا عليه . طارق حملوه بشيء لم يكن يعرفه . وخاصة كأبي بطل عندما يجد نفسه أمام حرب عليه أن يخوضها . لم يكن يعرف أن المكائد وراءه كانت كبيرة ، ياابني عندما يعم القتل وتصبح القوة هي السيدة يصبح كل شيء مبررا . لم تكن أرضنا صحيح ولكن أجدادي هم من غرس يباسها وأثت فراغها . أعرف أن كل شيء ليس منا وليس لنا سيعود إلى ذويه طال الزمن أو قصر لست أنا ولا أنت من يختار الحروب والبطولات " (5) .

هذا الحوار بين الجد والحفيد يعيد طرح التساؤل حول ما إذا كان وصول العرب والبربر إلى الأندلس فتحا أو غزوا ؟ وهل طلب أهل أيبيريا دخول العرب كي ينقلوا عنهم تعاليم ديننا أم أن مساعدة يوليان حاكم سبته ل " طارق بن زياد " لا تزال الهزيمة ب " لذريق " دعوة مفتوحة لاحتلال البلاد ؟

ويضيف قائلا عندما سأله جده " هل تراها حقيقة ؟ صف لي ما تراه . ركزت بصري أكثر مدينة جميلة وأكاد أعرفها مرتفعاتها ودروبها وكنائسها وناسها أراها يا جدي وأسمع أيضا نداءات خفية تأتي من بعيد على شكل كورس جنائزي " (6) ، فهذه غرناطة أيام سقوطها ، وهنا

-
- 1 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 6 .
 - 2 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 6 .
 - 3 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 9 .
 - 4- الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 9 .
 - 5 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 47 .
 - 6 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 34 .

يدخل عنصر التاريخ وذلك بالحديث عن سقوط غرناطة التي قاوم من أجلها جده ، وما تعرض له من تعذيب من طرف محاكم التفتيش ، فغرناطة وظفها واسيني من أجل إدخال عنصر التاريخ والحكي عن الأندلس وسيرة جده الروخو وما عاشه من ويلات .

فالعودة إلى التاريخ بهذا المعنى ، ليست إيقاظا للأوجاع النائمة في الذاكرة ، وليست بكائية على أطلال الماضي تجلب الأسى والحزن ، ولكنها وقفة للإعتراف بالأخطاء التاريخية المستمرة في حاضرنا .

ب – الأحداث المتخيلة :

رواية سيرة المنتهى ... عشتها كما اشتهتني " لواسيني الأعرج تناولت أحداث تاريخية واقعية حقيقية وأحداث خيالية ، فواسيني لم يعتمد على سرد الأحداث الواقعية والمعاشة كما حدثت بل تجاوز ذلك وأخل عنصر الخيال للجانب الواقعي ليخرج بها عن المؤلف ، فدونها في قال واقعي ممزوج بالخيال ،

تتناول الرواية عدة شخصيات روائية من بينهم (الجد الروخو – الأم ميمما أميزار – حنا فاطنة – الأخ عزيز – مينا الحبيبة) فهؤلاء جميعها عاشت مع واسيني ولكنهم أموات ، فقد تم استدعاؤهم عن طريق الذاكرة ، وجعلهم عوامل محركة للسرد ، جاء في الرواية على لسان جدته مخاطبة إياه " إمش في خط مستقيم فقط وسترى فجوة النور التي توصلك لمبتغاك لا تغير ماخط لك وإلا ستسقط في التيه الذي لن تستطيع عبوره أبدا " (1¹) . فالشخصية هنا واقعية إلا أن ما ينسب إليها من أقوال فهي ما هي إلا من نسج خيال الروائي .

والمسالك التي عبرها واسيني الأعرج من أجل الوصول إلى سدرة المنتهى متخيلة وهي مخالفة للواقع ، إذ نجد الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي هو الذي أعطى إشارة الإنطلاق لهذه الرحلة ، وقد وصف هذا بلغة صوفية حيث يقول : " لقد اقتفيت خطا سيدي بصعوبة ، ولكن حتى النهاية ، حتى عام كل ما يحيط بي وانتفى أو كاد ، ولم أعد أرى إلا نورا خفيا تسرب من السماء ليخترق كل شيء في ويهز يقيني في التربة التي كنت أقف عليها ويريني أرضا معشقة بمبهم آخر كان علي اختراقه بلا تردد ولا حسابات وإلا لن أكون أنا " (2) . فهو لم يفكر في الهروب ، فقد سلم نفسه وجسده للتربة والأعشاب والماء والهواء والتي ترمز إلى القبر ، فهو تخيل نفسه ميتا منذ أن مرت عليه غيمة المنتهى ... لحظة الموت .

يصل واسيني إلى قمة التخيل عندما يتحدث عن سيرفانتس صاحب الصنعة يقول : " عندما دخلت على سيرفانتس وهو لا يزال يحاول أن يستقيم في جلسته كأنه هو أيضا وصل لتوه " (3) ويوظفه في مقاطع أخرى من خلال قوله : " سألني سيرفانتس وهو يمرر أصابعه داخل لحيته لا

1 - الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 245 .

2 - الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 15 .

3- الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 272 .

بأس يا سيدي الجو بارد في المغارة لكنه جميل فقد سمح لي بإغفائه كم كنت في حاجة ماسة إليها (1¹) .

وكذلك نجد أن لعنصري الزمان والمكان نصيب من الخيال ، فالمكان متخيل استباقي ليست له حدود وثوابت واقعية ، ويتمثل في عروج البطل لسدرة المنتهى وهو أعلى مقام بلغه المصطفى ليلة الإسراء والمعراج ، جاء في الرواية " بدأت أطيّر في أعماق الغيمة في غمرة شلالات من النور التي لم أكن قادرا على النظر فيها بالشكل الذي اعتدته كنت أطيّر باتجاه غير معلوم " (2) . وفي مشهد آخر يقول : " سدرة المنتهى قال السالك فقلت له : ما هذا النور وإليها قال : سدرة المنتهى (3) ، فهذا المكان غيبي روحاني أدركه البطل بفعل العروج وهو فعل خص به الله عزوجل المصطفى عليه السلام ، كما وظف الروئي عدة أمكنة خيالية منها كجبل النار حين يقول : " أخيرا وصلت لجبل النار تيغراو (4) ، وشجرة النور " لا تخف يمكنك أن ترمي بنفسك في ظلها بلا تردد لا علاقة لها بشجرة الخلد ، لا تاريخ لها في الكتب السماوية ولا أي ذكر ، شجرة تمنح القلب فسحة التنفس في مكان الرنئين وتمنح الذاكرة حاسة النظر والرؤية (5) .

إن أبرز مفارقة زمنية استخدمها السارد توحى بالبعد التخيلي ، والتي تتمثل في استشرافه واستباقه للحظة وفاته وإنطلاقه منها في سرد هذه السيرة " كانت لحظة انفصال الروح عن الجسد بينما كان مولاي السالك كما سمعت المنادين له ذو الحية البيضاء يمد يده لي ويشدني نحو بوابة النور " (6) ، وقوله أيضا : " أدركت بسرعة أن مولاي السالك كان هو رجل ليلة الرحيل كل حركاته كانت توحى بذلك أخرجني بنعومة من دائرة الأهل والأصدقاء وهم يتلاطمون ويندبون ويكفون غائبا مسجى " (7) ، فنجد واسيني الأعرج ينتقل من زمن لآخر فأحيانا ينتقل بنا إلى الماضي القريب عندما يتحدث عن طفولته : " عندما استشهد والدي في عزلة الموت ركضت ميمًا أميزار في كل الإتجاهات من البلدية إلى المدارس بحثا عن عمل يستر العائلة ، فلم تصل بعد وساطات كثيرة إلا عاملة تنظف مراحيض المدارس " (8) . فهذه التنتقلات في الأزمنة بين الماضي والحاضر والمستقبل ، تصبح هذه الأزمنة خاضعة لأهواء الكاتب الذي استنزف كل طاقات الإبداع والخيال في بناء هذه السيرة .

إن حديث واسيني الأعرج عن الزمن في هذه الرحلة أو الزمن الذي قضاه في رحلته هذه بدأت بحلم ، وهو إشارة إلى عدم معرفة مدة الحلم " أنت لا تعرف الزمن هنا ، الزمن لا معيار

- 1 - الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 274 .
- 2 - الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 19 .
- 3 - الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 21 .
- 4 - الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 24 .
- 5 - الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 113 .
- 6 - الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 19 .
- 7 - الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 20 .
- 8 - الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 200 .

له . هو معيار نفسه (11) هذا جاء على لسان مينا ، كما يضيف " لا أدري كم استغرق الزمن الذي قضيته في النوم قبل الاستيقاظ على شعاع شجرة النور (2) ، فمدة نومه لا يعلمها . كذلك لا يعلم المدة التي استغرقها ليصل إلى شجرة الخلد " لا أدري المسافة التي قطعها ولا الزمن الذي استغرقه سيرى ... لا شمس ولا غياب سوى زمن متواتر يخترق كل شيء (3) .

4 – العتبات النصية في رواية " سيرة المنتهى ... عشتها كما اشتهتني " لواسيني الأعرج :

1 – العنوان :

يعتبر العنوان من أبرز القرائن الدالة على بنية النص الكلية ، باعتبارها بنية خارجية تكشف عن جوهر النص ، وقد إهتم به السيميائيون وألوه عناية خاصة باعتباره " مصطلحا إجرائيا ناجحا في مقارنة النص الأدبي " (4) .

عنوان الرواية يأخذنا إلى نقطة بعيدة واسعة للتحليل والتخييل ، فنجد أن كلمة " سيرة " تختزل العديد من التساؤلات هل هي سيرة " واسيني الأعرج ؟ أم هي سيرة " مينا " ؟ أم هي إبراز لسيرة أجداده الموريسكي ؟ .

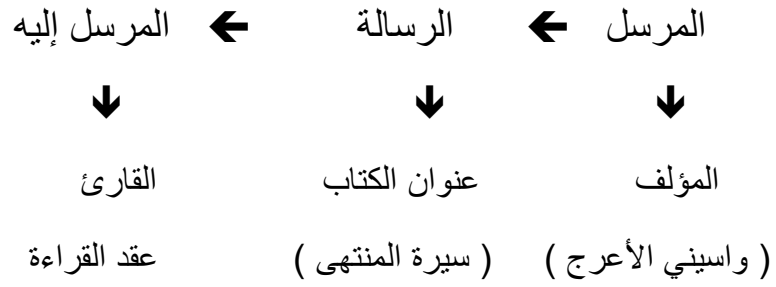
أما بالنسبة إلى كلمة " المنتهى " نجدها مأخوذة من التعبير القرآني .

فبين سيرة "المنتهى " و" سدرة المنتهى " ينقلب الدال ياء مما يجعل المصطلحين يتقاطعان فهي تدل على المرجعية الدينية لهذه الكلمة ، فالمنتهى تدل على معنى دنو أجل الكاتب أو نهايته، ونجاحه في التغلب على نفسه ومواجهتها روائيا .

أما عنوان " عشتها كما اشتهتني " تدل على أن الروائي عاش حياته الحقيقية كما نشتهته الأقدار عكس ماجاء في الرواية التي تقول بأن الروائي كتب حياته كما اشتهى هو ، لأنه غير راض بالقدر الذي حل به .

من خلال تفكيك القارئ لعنوان الرواية " سيرة المنتهى " من منطلق عقد القراءة نبينه وفق المخطط التالي :

-
- 1- الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 174 .
 - 2 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 232 .
 - 3 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 143 .
 - 4 – جميل حمداوي ، السيميوطيقا والعنونة ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، مارس ع (3) ، 1996 م ، ص : 90 .



يقترن العنوان بوصفه عقدا قرائيا باسم مؤلفه ، سواء من الناحية الشكلية أو من ناحية مضمون النص " فالعنوان ضرورة أدبية ، ولكن ضرورته تمتد في السيرة الذاتية لتشمل عملية ربط خاص بين الكتاب والكاتب نظرا لهيمنة وجود الذات الكاتبة في السيرة " (11) .

2 - صورة الغلاف :

يعتبر الغلاف الوجه الأول الذي ينظر إليه القارئ ، وهو آخر ما يبقى في ذاكرة القارئ ، فإختيار الشكل واللون أو الصورة بصفة عامة يشد إنتباه القارئ . فالغلاف الأمامي يعد " بمثابة العتبة الأمامية للكتاب حيث تقوم هذه الأخيرة بعملية افتتاح الفضاء الورقي " (2) .

حمل الغلاف الأمامي صورة الكاتب (واسيني) ملونة حديثة دالة على زمن الكتابة وصورة والده (بابا أحمد) بالأبيض والأسود والتي تدل على بعد المسافة بين الأب والإبن ، فقد كان اختيار الصورة موفقا إلى حد بعيد ، فهو تركيب يجمع بين واسيني ووالده الشهيد غير أن هذا لا نجده في الرواية ، فواسيني عاش النقص بسبب استشهاد والده ، فعمل على تدارك النقص ، فنجد داخل النص بحث عن كلمة ابني ليحس بطعم الأبوة المفقودة " كان يناديني باسمي كأنه يحادث صديقا له ، اشتبهت فقط أن أسمع ابني حبيبي ... أتذكر الكلمة مغيمة ولا أدري إن نطقها والدي يوما " (3) ، فنجد واسيني الأعرج تحقق حلمه من خلال استماع والده له " نعم يا ابني ، نعم حبيبي " (4) ، فهذا الحوار بين الأب والابن هو حوار غائب في الحياة .

كما نجد في الغلاف الخلفي في الجزء العلوي كتابة باللغة العربية " واسيني. سيرة المنتهى . عشتها ... كما اشتهتني " ، ويعود الفضل إلى جدته " حنا فاطنة " التي دفعت به إلى تعلم القرآن ، فكان كتاب "ألف ليلة وليلة " له تأثير بالغ على واسيني فسحره لتعلم اللغة العربية . كما نجد في الجزء السفلي كتابة باللغة العربية واللاتينية ، فهذه دلالة على أن أباه الشهيد وصى زوجته إلى تعليم الأبناء اللغات وذلك من خلال قولها : " فقد وعدته في ليلته الأخيرة في السجن أن أدرس أبناءه كما طلب مني ذلك ، نفذت طلبه الأول (5) . يليه جزء من الإهداء الذي كتبه واسيني إلى جده (الروخو) ، فعبّر من خلالها مدى سعادته بهذا العمر الذي عاشه قبل أن

1 - أمل التميمي : السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1 ، 2005 ، ص : 190
2- محمد الصفراني ، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث ، جامعة طيبة ، المدينة المنورة ، ط1 ، 2008 ، م ، 134 .
3 -الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 148 .
4 - الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 153 .
5 - الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 136 .

يموت ، وبعد الإهداء الذي كتبه إلى " ميترا " ويليه رمز دار النشر (بغدادى للنشر والطباعة والتوزيع) والبريد الإلكتروني وعلى حافة الكتاب نجد مصممة الغلاف الدكتورة (سهام شراد) فإذا تأملنا في الغلاف نجد أن الروائي واسيني الأعرج عمد على جعل العنوان مركب من بنيتين تركيبيتين ، نجد كذلك أن الصورة مركبة من صورتين فهذا العمل ليس من باب الصدفة .

أما الصورة الداخلية نجد صورة " واسيني الأعرج " بالأبيض والأسود حاملا حقييته ، وهو يسير على نهر السين بفرنسا ، فالمدن الأوروبية تمثل له عالم السحر والجمال ، عكس ما عاشه في الجزائر من مرارة وقسوة ، وذلك من خلال قوله : " المدن الأوروبية هكذا كلما عدنا لها بعد زمن اكتشفنا أن بها شيئا لا نعرفه ومدننا كلما هجرناها وعدنا لها اكتشفنا أن جزء آخر فيها قد مات " (11) .

وظف واسيني الأعرج في الغلاف عدة ألوان ، مما أكسبها عدة دلالات تعبر عن الحزن والفرح والقسوة والنصر والهزيمة .

أ – اللون الأبيض :

فدلالة هذا اللون هو رمز للصفاء والنقاء والأمل ، فهي تعبر عن صفاء وصدق الروائي في الكشف عن حياته التي يعيشها ، كما تدل أيضا على أمل تحسن الأوضاع الاجتماعية وتحسن نفسيته .

ب – اللون الأسود :

يدل هذا اللون على الصراع النفسي الذي يمر به المؤلف ، فهو إما دلالة على اضطراب نفسية الكاتب ، وعيشه في التيه ، أو حزن الكاتب على فراق أحبته كفراق أمه وجدته وإخوته وفراق حبيبته " مينا "

ج – اللون البني :

عمد الكاتب على توظيف هذا اللون البني المائل إلى الصفرة ، فيدل هذا اللون على باطن الأرض أي لون التربة الموجودة بباطن الأرض . يتضح لنا أن هذا اللون الترابي هو لون يفصح حقائق الأشياء التي تبدو لنا جميلة ، فواسيني أراد أن يظهر لنا بأن هذا العالم الأرضي مزيف فنقلنا إلى عالم روحاني سمائي الذي فيه الصفاء والنقاء

4 – اسم المؤلف :

يعتبر اسم المؤلف من الركائز الأساسية التي يمكننا التخلي عنها ، فقد اشتملت رواية " سيرة المنتهى " على اسم الكاتب " واسيني الأعرج " محققة بذلك القوة والملكية لهذا النص .

1-الأعرج واسيني ، شرفات بحر الشمال ، دار الأدب ، بيروت ، ط1 ، 2002 م ، ص : 183 .

فقد ظهر اسمه يتوسط صفحة الغلاف في الجهة اليسرى ، ويدل بذلك حضوره في العمل السير ذاتي ووجوده في النص والراوي والشخصية هو " واسيني " والمحكي هو سيرته الذاتية .

5 – كلمة الناشر :

جاءت كلمة الناشر في رواية " سيرة المنتهى " في الصفحة الأخيرة من غلاف الرواية ، وقد بدأ بالتعهد الذي يرسيه وتذره دار النشر (مجلة دبي الثقافية) ، يقول مديرها التنفيذي سيف المروي : " ها نحن ذا في دبي الثقافية نقدم لكم هذا الإصدار للروائي الجزائري " واسيني الأعرج " واضعين نصب أعيننا ما نذرنا أنفسنا له وهو نشر الثقافة العربية " (1¹) .

6 – الإهداء :

فهي من العتبات النصية الأكثر أهمية في النص السير ذاتي ، حيث نلحظ في الإهداء الذي قدمه " واسيني الأعرج " أنها سيرة ذاتية بامتياز ، إذ يقول : " ميترا الحبيبة ... متعب إنها علامات النهايات . للقلب سلطانه . اخترتك أنت ، من بين مئات الأشخاص والشخصيات ، لنكوني أنا ، ولأروي لك آخر الحكاية كما تراءت لي ، قبل أن أضع النور الأخير الذي بقي متقددا في ذاكرتي، في عمق عينيك وقلبك ، استمعي إلى قليلا لأنها المرة الأخيرة التي أفتح لك فيها لغتي وسري وحواسي ، وظلال روحي ، ... ميترا ... ميما الصغيرة . شكرا ... شكرا لك وحدك . لولاك ما كانت هذه السيرة ، وما كان هذا المنتهى " (2) .

يظهر لنا من خلال هذا الإهداء نبذة " الأنا " التي تحمل على عاتقها مسؤولية كل ما سيرد من أحداث داخل الرواية ، وهذا أصدق دليل على كون هذه الأحداث وقعت حقا مع إضفاء لمسة خيالية ، من بينها الشخصية الخيالية ميترا التي شجعت على فعل الكتابة وخصوصا ما يتعلق بعلاقته الحميمية مع " ميما " ، فوظف واقعه صابغا له بالخيال وذلك من خلال استدعائه للعديد من الأشخاص المقربين له ، فينطلق منهم في عملية الحكى عن طريق مساءلتهم له ومساءلته لهم حتى يناقش كل قضايا حياته .

7 – المقدمة :

نجد واسيني الأعرج في مقدمته تطرق إلى العرفان والإجلال لجده " علي برمضان الكوخو ، الذي يعتبره السند في حياته ، وذلك من خلال قوله : " تستحق أكثر من هذا يا جدي الأعظم . أنحني الآن لظلك العالي الذي لبسته طوال حياتي ، وتخفيت فيه كلما أصابتنى قسوة اليأس ، ومس الخوف والبرد ظهري . أقبل آثار خطواتك القلقة التي تركتها على الساحل المنسي ، وعلى صخور جبل النار ، وسلكتها بعدك ، أحيانا بشكل أعمى ، وفي أحيان بثقة القلب . أنا

1 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى .

2 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 1 .

أيضا يا جدي النبيل ، تعلمت من دمك وجروحك ، ومن خطواتي المرتعشة " (11) ، كما عبر عن اعتزازه وفخره بالانتماء إلى أرض الجزائر الذي وصفها بتربة المنتهى التي عاد إليها بعد سنين الهجرة قائلا : " سعيد بهذا العمر الذي عشته قبل أن أعود إلى تربة المنتهى ، وأتماهى

فيها إلى الأبد . لم أكن ، استثناء عظيم في هذه الدنيا يا جدي لكني لم أمر عليها كغيمة جافة " (2) . وفي الأخير يهدي عمله هذا إلى جده وذلك من خلال قوله : " لك وحدك يا جدي أوجه خوفي وطفولتي العارية . لو وجدت عمري كله ، شبيها بلحظة واحدة ، من حياتك السخية ، سأكون أسعد حفيد لك وأنا أتهيا للقائك بقلب صغير وشوق كبير إلى التربة التي شربت من دمك وعرقك ، وشكلتني كما اشتهيت ، ولكني كتبتها كما اشتهيت " (3) . فواسيني الأعرج يتحدث هنا عن الموت ، ويساعد للذهاب في رحلة الموت والبرزخ ، ومن ثم يبدأ بالمناداة والحنين الذي ساهم في بنائه ، فيستدعيهم في هذه الرحلة الخيالية ليضع بين يديهم آلامه وأحزانه .

8 – الخاتمة :

نجد أن خاتمة واسيني الأعرج ، هي خاتمة البدايات وبداية أمل جديد ، متحديا انتقادات الكثيرين ورأى أن من واجبه الانتصار لأولئك الغرباء في الحياة فقط لأنهم كانوا ضحايا لهذه الحياة التي عاشها كما اشتهته ، مبررا سبب الكتابة : " ربما الفرق الأوحده هو أنني كتبت هذه الحياة جزئيا ، بينما هم اكنفوا بعيشها لأنهم لم يمتلكوا الأداة التي تسمح بذلك ، أو ربما لأسباب معقدة وحدهم يعرفون سرها . لهذا فالسيرة ليست أكثر من تجربة شخصية وجماعية في الوقت نفسه ، القصد وراءها اقتسام شيء مافيها مع القارئ الذي لا ينتظر سوبرمانا خارقا ، ولكنه ينتظر جهد إنسان باتجاه الحياة بكل ما تحمل هذه العلاقة من مشقات ومتاعب " (4) . فيوضح من خلال قوله أن الرهان الأوحده في الحياة هو الحب حب الحياة والنجاح وغيرها .

والحرب الأهلية بالجزائر في مرحلة التسعينات ، وما نجم عنه من موت ودمار حتى أجبر على الهرب إلى المنفى ، حيث يقول : " لا أدري أصلا إذا كان المنفى خيارا ، أو حالة اضطرار " (5)

كما استعرض واسيني الأعرج في خاتمته اعتذاراته لمينا ، كما قال بأن السيرة الذاتية هي أكبر اختيار في حياة أي إنسان خاصة باعتبارها نابعة من صراحة الكاتب وفطرته .

- 1 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 7 .
- 2 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 7 .
- 3 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 7 .
- 4 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 492 .
- 5 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 493 .

4 – تجليات التناص في رواية "سيرة المنتهى ... عشتها كما اشتهتني" لواسيني الأعرج .

1 – التناص الديني :

نجد أن رواية "سيرة المنتهى" لواسيني الأعرج قد تضمنت نصوصا مختارة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، محققا الانسجام السياقي .

جاء التناص مع القرآن الكريم ، فتضمن مخلوق القصص القرآني كقصة سيدنا آدم وحواء ، وسيدنا إبراهيم ، وأيوب عليه السلام ، وقصة سيدنا عيسى مع مريم والإنجيل .

نجد واسيني الأعرج وظف آيات قرآنية ، كقوله تعالى : (ربي أرني كيف تحيي الموتى) وقوله أيضا : (فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وكنك لا يبلى) ، فواسيني الأعرج تضمن في روايته هذه التناسات الدينية من أجل أن يعبر عما عاناه محققا الأنسجام الفكري .

2 – التناص التاريخي :

بالعودة إلى رواية "سيرة المنتهى" فقد احتل التاريخ فيها جزءا كبيرا ، والتي تتمثل في العناوين التالية : طائر الفينيكس يسلك طريق السماء ، صدفة جدي سرفانتس ، دون كيشوت ينهض من موقد حنا ، زريدة حبي لها أسبق من حريتي ، حكمة ملقاة في عرض البحر .

فهذه العناوين جميعها ترصد لنا تاريخ الكاتب "سرفانتس" في الجزائر وإسبانيا موصفا حقائق تاريخية ، كما عرض كذلك تاريخ الموريسكيين وإسبانيا في فترة الحكم الصليبي ، وذلك من خلال قوله : "ربما كانت غرناطة أيام سقوطها أسمع الجزع وأرى الخوف في عيون الناس (14) .

كما نجد واسيني الأعرج قد خصص مسلحة كبيرة للحديث عن شخصية "سرفانتس" ، فهو يعتبره جده اللغوي ، مستمدا منه كيفية التعبير عن المعاناة ، فقد قدم تاريخه في أسلوب تقريرى مباشر مستدلا بحقائق تاريخية ، فقد تحدث عن سبب بيعه في سوق العبيد لإبعاده عن زريدة . يقول : " ... السلطان عبد الملك زوج زريدة ، لا بد أنك تعرف قصته ، دخل في صراع مع زويه لدرجة التحالف مع ملك إسبانيا فيليب الثاني وملك البرتغال سيياستيان لتهديمهم ... فقد دخلت تلك البلاد حاقدًا وخرجت منها شخصا آخر ، منحتني فرصة غير محسوبة ... لولا ذلك الإختبار القاسي الذي مكثت فيه أكثر من خمس سنوات ونصف " (2) .

3 – التناص الشعبي :

1 – الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 40 – 41 .

2- الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 280 .

يظهر التناص عند واسيني الأعرج في نصه من خلال ذكره للعديد من الأغاني والأمثال الشعبية ، وهذا يدل على مدى تعلقه بتراثه والتغني به ، وذلك من خلال استحضاره لأغنية المطر وناس الغيوان ، يقول :

وأنا راني مشيت والهول أذاني

والكيه وحبابي ما سخاو بي

بحر الغيوان ما دخلته بلعاني . (1)

ويقول أيضا :

يا النو صبي ، صبي

ما تصبيش عليا

حتى يجي خويا حمو

ويغطيني بالزربية . (2)

كما نجد كذلك : " يا لالة يا تركية ، وأنا سمعت البندير ، لا صحة لا ذرية ، وتعاونيني بالخير ... " . (3)

كما أن روايته لا تخلوا من الموروث الشعبي الذي يمثل الهوية العربية " ألف ليلة وليلة " فهو نص يلهم مخيلة الروائيين ، كما نجده تحدث عن طائر " الفينيكس " الذي وجده في العالم الآخر واقعا .

فواسيني يعتبر كتاب كليلة ودمنة قرآنا وذلك من خلال قوله : " اكتشفت عندما كبرت قليلا أن قرآني لم يكن في الحقيقة إلا كتاب ألف ليلة وليلة ، في جزئه الأول المطلوع في القاهرة " . (4)

كما لم يتخلى عن التناص في الموروث اليوناني ، فنجده قد وظف الأسطورة : مثل أسطورة سيزيف وأسطورة بنيلوب وأسطورة عوليس .

1 - الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 10 .

2 - الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 32 .

3 - الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 172 - 173 .

4 - الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 195 .

خاتمة

بعد دراستنا لهذا الموضوع الشيق وبعد سلسلة من البحث والتعمق توصلنا إلى عدة نتائج ، نحددها في النقاط التالية :

- 1 - السيرة تجعل من الشخصية مادة خام ، تتميز بالصدق في سرد الأحداث الواقعية ، لأنها بصدد سرد كان في الماضي عن طريق الحكي و الاسترجاعي في الحاضر .
- 2 - السيرة هي بحث يقدم لنا حياة الشخص وتفاصيل حياته التي عاشها .
- 3 - الرواية السيرية عمل سردي تتأرجح بين كفتي الامتاع والإخبار .
- 4 - الرواية السيرية في الأدب الجزائري حظيت باهتمام كبار الأدباء ، من أمثال " واسيني الأعرج "، إذ تعد روايتي " ليالي إزيس كوبيا " ورواية " سيرة المنتهى " نموذجين مثاليين في تحقيق الكثير من خصائص الرواية السيرية ، وما تنتجه من حرية مطلقة في الكتابة .
- 5 - مزج واسيني الأعرج في روايته " ليالي إزيس كوبيا " ورواية "سيرة المنتهى " بين الواقع والتخييل ، ما أعطى ذلك لسيرته رونقا وجمالا .
- 7- السيرة نوعان : ذاتية عندما يتحدث كاتبها عن نفسه ، وأخرى غيرية عندما يتحدث كاتبها عن حياة شخص آخر .
- 8--تختلف السيرة الغيرية عن السيرة الذاتية ، في أنها أكثر موضوعية ، وأن كاتبها تكون له رؤية عن الخارج على عكس السيرة الذاتية .
- 9- من خلال قراءتنا للروايتين نجد أن واسيني الأعرج لا يكتب للطبقة المثقفة فقط ، بل يكتب لعامة الناس ، وذلك من خلال توظيفه لكلمات عامية .
- 10- نجد واسيني الأعرج من خلال روايته " ليالي إزيس كوبيا " لديه الجرأة البالغة في الطرح من خلال كشفه وفضحه لما هو مسكوت عنه في حياة البطل " مي زيادة " .
- 11 - كشف واسيني الأعرج في روايته " إزيس كوبيا " عن مختلف الأمكنة الواقعية (العصفورية) ، من خلال إبراز الصراع والتأزم الذي أثاره هذا الأخير على نفسية " مي زيادة " .
- 12 - إن رواية " ليالي إزيس كوبيا " رواية تاريخية فلم تقتصر فقط على المرجعية التاريخية ، بل تعدها إلى مرجعية أخرى ألا وهي المرجعية التخيلية التي أسهمت في سد الثغرات .
- 13 - أبدع واسيني الأعرج في روايته "سيرة المنتهى" في تصوير عالم غريب انتقل إليه ، من خلال رحلة الموت ليدهش القارئ وليحقق فيه كل ما يصبوا إليه وهو لقاءه بأفراد عائلته الذي افتقدهم .

14 - هناك عدة دوافع تدفع بالكاتب إلى كتابة سيرته الذاتية ، من بينها : إعطاء الترجمة لحياته حتى لا تندثر وتزول أو احساسه بدنو أجله وغيرها .

15 - في رواية " سيرة المنتهى " نجد أن واسيني الأعرج يتحدث فيها عن سيرته وعلى كل مامر به في حياته ، من أشخاص وأماكن وأحداث ، فكانت بعض الأحداث خيالية وذلك من خلال ذكره لأشخاص من الواقع وربطها بأماكن التي عاش فيها خياله وواقعه .

16 - في رواية " ليالي إزيس كوبيا " نجد واسيني الأعرج يتحدث فيه عن " مي زيادة " وما عاشته من آلام وأحزان وجحيم في العصفورية .

17 - يحظر التاريخ في رواية " سيرة المنتهى " من خلال سرد تاريخ الأندلس المرتبط بجده الموريسكي وإعادة إحياء الإرث القديم عبر شخصيات فاعلة في ذلك .

18 - نجد الروائي واسيني الأعرج من خلال روايته " ليالي إزيس كوبيا " اهتم بالجانب السيكولوجي للشخصية البطلة " مي زيادة " ، وهو ما يؤكد الكم الهائل من الأحداث والصراعات النفسية .

19 - خدمت العتبات النصية الروائيتين " رواية ليالي إزيس كوبيا " ورواية " سيرة المنتهى " فهي على علاقة وثيقة بالنص .

ويمكن القول أن نقول في الأخير أن رواية " مي ليالي إزيس كوبيا ثلاثمائة ليلة وليلة في جحيم العصفورية " سيرة غيرية ، ورواية " سيرة المنتهى ... عشتها كما اشتهنتني " سيرة ذاتية كتبهما واسيني الأعرج ، فهما تميلان إلى مصلحة الرواية العربية حيث تقدمان صورة حية ودقيقة بطريقة متخيلة ، ما تخر به من أمكنة رسمت بفتية بالغة ، ما جعلت المتلقي يقف منتبعا لحركة أحداثها .

الملاحق

1 - التعريف بواسيني الأعرج :

يعتبر " واسيني الأعرج " من أهم الروائيين الجزائريين المعاصرين ، ولد سنة 1954 بقرية بوجنان الحدودية ، إحدى ضواحي مدينة تلمسان ، تلقى تعليمه في الجزائر ، انتقل مع عائلته إلى مدينة تلمسان حينما بلغ العاشرة من عمره وبقي فيها من 1968 إلى 1973 ثم انتقل في نفس السنة إلى مدينة وهران ، مكث فيها أربع سنوات وهناك تجربته مع الحياة العملية إذ عمل صحافيا محررا ومترجما للمقالات وفي الوقت نفسه كان يتابع دراسته الجامعية في قسم الأدب العربي ، سافر إلى دمشق ولبث فيها عشر سنوات وحصل على رسالة ماجستير برسالة بحث حملت عنوان " اتجاهات الرواية العربية في الجزائر " ثم ناقش رسالة دكتوراه دولة بعنوان " نظرية البطل في الرواية " ، كانت بداية أعماله الروائية تظهر سنة 1974 فأصدر رواية بعنوان " جغرافية الأجساد " في مجلة آمال بالجزائر وأثناء عودته إلى الجزائر سنة 1985 التحق بجامعة الجزائر المركزية كأستاذ للمناهج والأدب الحديث ثم عاد مرة أخرى لمغادرة الجزائر سنة 1994 نحو باريس بدعوة قدمتها له المدرسة العليا للأساتذة وجامعة السربون ويشغل اليوم أستاذ كرسي جامعتي الجزائر المركزية والسربون بباريس . (1) وقد يعد هذا الروائي من أشهر الأصوات الروائية في الجزائر حيث نال عدة أوسمة وجوائز فقد حصل في سنة 1989 على الجائزة التقديرية من رئيس الجمهورية .

حصل في سنة 2001 على جائزة الرواية الجزائرية على مجمل أعماله الروائية ، حصل سنة 2006 على جائزة المكتبيين على رواية " كتاب الأمير " حصل في سنة 2007 على جائزة الأدب " الشيخ زايد " عن روايته " كتاب الأمير " .

وحصل في سنة 2008 على جائزة الكتاب الذهبي في معرض الكتاب الدولي عن روايته "كريماتوريوم " (سوناتا لأشباح القدس) (2) .

نجد أن أعماله كلها كانت مكلفة بالنجاحات والتقديرات والتكريمات حيث أنه كلما نشر رواية إلا وحصل على جائزة فمعظم رواياته قدمت له استحقاقات .

وقد كانت لمجموعة من رواياته مكانة مرموقة ومكانة عالية ومفضلة بين مختلف الروايات حيث أنه : " في سنة 1997 اختيرت روايته " حارسة الظلال " ، " دون كيشوت في الجزائر " ضمن أفضل خمس روايات صدرت بفرنسا ، ونشرت في أكثر من خمس طبعات متتالية بما فيها طبعة الجيب الشعبية ، قبل أن تنشر في طبعة خاصة ضمن الأعمال الخمسة .

اختير في سنة 2005 كواحد من بين ستة روائيين عالميين لكتابة التاريخ العربي الحديث في إطار جائزة قطر العالمية للرواية عن روايته الملحمية " سراب الشرق " (3) .

1 - ينظر ، الأعرج واسيني : هكذا تكلم ... هكذا كتب ... ، منشورات دار الهدى ، د.ط ، 2013 ، ص 09 ، 10 .

2 - المرجع نفسه ، ص : 11 .

3 - المرجع نفسه ، ص : 11 .

ولا ننسى أن أعماله لم تكن باللغة العربية فقط حيث " ترجمت إلى العديد من اللغات الأجنبية من بينها الفرنسية ، الألمانية ، الإيطالية ، السويدية ، الإنجليزية ، والإسبانية " (11-)

2 - المسار الإبداعي لواسيني الأعرج :

لقد برع " واسيني الأعرج " في المجال الروائي حيث ظهرت له عدة روايات منها :

- " البوابة الزرقاء (وقائع من أوجاع رجل) ، دمشق / الجزائر ، 1980 .

- ماتبقى من سيرة لخضر حمروش ، دمشق ، 1982 .

- مصرع أحلام مريم الوديعة ، بيروت ، 1984 (سلسلة الجيب: الفضاء الحر Libre poche2001 « .

- ضمير الغائب ، دمشق ، 1990 (سلسلة الجيب : الفضاء الحر Libre poch 2001 « .

- الليلة السابعة بعد الألف : رمل المائة ، دمشق / الجزائر ، 1993 .

- الليلة السابعة بعد الألف : المخطوطة الشرقية ، دمشق ، 2002 .

- ذاكرة الماء ، دار الجمل ، ألمانيا ، 1997 « (2) .

- " نوار اللوز ، بيروت ، دار الحدائثة ، 1983 .

- سيدة المقام ، منشورات الجمل ، ألمانيا ، الجزائر ، 1995 .

- حارسة الظلال ، دونكيشوت في الجزائر (باللغة الفرنسية ، تقديم ليلي صبار) ، منشورات المرسى ،

Revue Algerie / litterature / Action ، العدد 3 – 4 ، باريس ، 1996 " (3)

- " طوق الياسمين ، (وقع الأحذية الخشنة) ، الحدائثة ، 1982 ، المركز الثقافي ، بيروت ، 2002 .

- مرايا الضربير ، باريس للطبعة الفرنسية ، 1998 .

- شرفات بحر الشمال ، دار الآداب ، بيروت ، 2001 .

- مضيق المعطوبين ، الطبعة الفرنسية ، 2005 .

1 – الأعرج واسيني ، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد ، منشورات الفضاء الحر ، الجزائر ، ط 1 ، 2004 ، ص 3 .

2 – المرجع نفسه ، ص : 4 .

3 – عاشور شرفي : الكتاب الجزائريين قاموس جيوغرافي ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2007 ، ص : 290 .

- كتاب الأمير ، دار الآداب ، بيروت ، 2001 ، باريس للترجمة الفرنسية، 2006 .

- سوناتا لأشباح القدس ، دار الآداب ، بيروت ، 2009 " .

ومن هنا نستنتج أن " واسيني الأعرج " ليس من الأدباء الذين رفعوا قلمهم في مجال دون الآخر ، حيث لم تتوقف إبداعاته عند الروايات فقط ، وإنما كان للأعمال القصصية نصيب من الإبداع وإن لم تكن بالقدر الذي قدمه في المجال الروائي .

3 – ملخص رواية " مي ليالي إيزيس كويبا ثلاثمائة ليلة وليلة في جحيم العصفورية" .

هي مروية حزينة لعالم " مي زيادة " ، ف " مي " شخصية غنية عن التعريف لطالما أعطت للساحة الإبداعية ، فشاء القدر أن تتبدل حياتها في آخر العمر ، فتغيرت بذلك العلاقات مع الأقارب .

رواية " ليالي إيزيس كويبا " هي من بين الأعمال الأدبية التي كتبها الروائي الجزائري " واسيني الأعرج " ، وهي أول رواية تكشف جانباً مظلماً من حياة الكاتبة " مي زيادة " ، إذ تطرق من خلالها " الأعرج " إلى المأساة الطويلة التي عاشتها في مستشفى الأمراض العقلية والنفسية في بيروت والتي استغرقت ثلاثمائة ليلة .

يصور لنا الروائي " واسيني الأعرج " في بداية روايته " ليالي إيزيس كويبا " البحث عن المخطوطات الضائعة وعن الصعوبات التي واجهها ، وكيف تحصل عليها بعد ثلاث سنوات من البحث ، رفقة صديقه " روز خليل " .

ثم يباشر في السرد ، إذ يروي لنا ما حل " بمي " والتي تتكلم بلسانها ، فتحدثت عن معاناتها وكيف وقعت في حيلة ابن عمها " جوزيف " الذي أحبته بعدما فضلته عن أخيه " نعموم " الذي خطبها ، فاستحوذ " جوزيف " على ممتلكاتها ، واستطاع أن ينقلها من مصر إلى بيروت الذي يوجد فيها مستشفى العصفورية فلبثت فيه ثلاثمائة ليلة .

كان سلاح " مي زيادة " في العصفورية هي الكتابة من أجل التغلب على القهر الذي تعيشه على جدران العصفورية ، وتذكر كل مرة أن سبب سوء حالتها هو ابن عمها " جوزيف " .

من خلال صفحات الرواية يسعى " واسيني الأعرج " إلى تقديم صورة واضحة عن " مي " ، التي كانت وحيدة والداها ، والتي كانت تحمل الجنسية المصرية ، والتي كانت تتمتع بالإرادة القوية من أجل أن تثبت للأطباء بأن عقلها سليم وأنها ليست مجنونة كما يعتقد البعض .

عاشت " مي زيادة " الويلات في مستشفى المجانين وهي محاطة بمجانين ، فأثر هذا بنفسها ولجأت إلى الإضراب عن الطعام ، وهذا من أجل أن تثبت لهم صحة عقلها ، ف " مي " لم تجد السند الذي يدافع عنها ويعيد لها حقوقها ، حتى أن الإعلام لم ينصفها إذ نجدها تلوم " العقاد " ، " وطه حسين " ، وكيف وقف بجانبها " أمين الريحاني " .

توفيت الكاتبة و الأدبية " مي زيادة " عام 1941 م عن عمر ناهز 55 سنة ، بمستشفى المعادي " في العاصمة المصرية القاهرة ، فعاشت " مي " الوحدة والعزلة في حياتها كما عاشت الوحدة كذلك يوم دفنها ، إذ حضر جنازتها ثلاثة أشخاص فقط ، هم " خليل مطران " و " أنطوان الجميل " و " لطفى السيد " .

4 – ملخص رواية " سيرة المنتهى ... عشتها كما اشتهنتي " .

تعتبر رواية " سيرة المنتهى ... عشتها كما اشتهنتي " رواية ذات أبعاد دينية وذاتية ، يختلط فيها الوعي واللاوعي ، فينتقل بنا الروائي " واسيني الأعرج " بين الحلم واليقظة ، فهو يصور لنا وقائع عاشها كما اشتهاها بكل آلامها وآمالها .

يقدم واسيني الاعرج لروايته " سيرة المنتهى " بثلاث مقبوسات أو ثلاث عتبات ، أولهما هو " حديث الإسراء " وثانيها لابن عربي من كتابه " الإسراء إلى المقام الأسرى أو كتاب المعراج " وثالثها " من " تقرير إلى غريكو " للروائي اليوناني كازنتزاكيس . أما العتبان الأول والثاني فيفتحان الباب للمخيل الديني ، وهو الحركة الكبرى في الرواية (الصوفية) ، بينما تفتح العتبة الثالثة الباب للحركة الأولى أيضا في الرواية : ما سيقص واسيني على جده من حياته ، كما فعل كازنتزاكيس . ومنذ مطلع الرواية تشتبك الحركتان ، وفيها يعلن الكاتب انتماءه إلى جده .

يصطفي ابن عربي الكاتب لمعراجه ، وتسجل الرواية لحظة انخلاع الكاتب من الدنيا ولحاقه بالشيخ الأكبر، وعبر هذا العروج تتولى الحكايات الكبرى ، وأولى ذلك حكاية الجد البعيد الروخو التي لا تقوم إلا بالتاريخ الأندلسي الذي سبق أن شغل الكاتب في أكثر من رواية (البيت الأندلسي – حارسه الظلال) ، لكن الجد الأقرب – والد الوالد – يثري حكايات الرواية ، وفيها حكاية المرأتين اللتين ألجأهما الجد (نينوت وممات) مما يحفظ الكاتب من طفولته التي سيطغى حضورها في الرواية ، مثلها مثل المراهقة .

أما الشخصيات المحورية في هذه الرواية ، فهي أسرة الكاتب أولا : الجدان " البعيد والقريب " ، الأب الشهيد ، و " الجدة " حنا فاطنة " والأم " ميماميزار " والأخ " عزيز " والأخت " زوليا " وإلى هؤلاء تأتي جمهرة النساء اللواتي وشممن روح وجسد الكاتب ، المتخيلة منهن والواقعية : ذات الشعر الأحمر وشفافية قارة ومينا وديانا ... الخ وفي المعراج الصوفي تتوالى شخصيات ابن عربي وسرفانتس ومولاي السالك ...

يجسد لنا الكاتب من خلال روايته " سيرة المنتهى " التاريخ عندما تجلت غرناطة للكاتب وجده الروخو ، ويتغنى جده بها ويتأسى عليها من خلال قوله : "سرقوا منا أرضا حفرناها" (11) فيرد الكاتب دخلتموها غزاة كغيركم ، فيرد الجد بأن أجداده من غرسوا يابسها ، وفي السيرة تبدأ أولا بالأم " ميماميزار " التي ندرت نفسها لتربية واسيني واخوته بعد

1- الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 47 .

استشهاد والده . كما يسرد لنا الكاتب "واسيني الأعرج" قصة شقيقه عزيز الذي قضى عليه السرطان ، أما الأخت زوليخا فتعري جرحها السري في قصتها ، ومن ثم تأتي قصة مينا حبيبة المراهقة القديسة ، والتي يقول فيها الكاتب : " من بين كل اللذين عبروا طفولتي بقيت مينا فوق الكل هالة من النور " (11) . لكن مينا تتعدد في اللواتي يملئن حياة الكاتب وصولا إلى ديانا مجسدة الجمال المطلق .

وفي الختام يكتب واسيني صفحات تحت عنوان (بعض ما خفي من سيرة عشتها ما اشتهتني) يؤكد فيها أن الكتابة لم تنته برغم أن الصفحات من أن الصفحات الأخيرة للسيرة انتهت ، ويؤكد أيضا أنها حياة كغيرها من ملايين الحياة التي عاشها الناس بأشكال مختلفة . تتخللها الأفراح وحالات العنف القاسية ، يقول واسيني الأعرج ربما الفرق الأوحده هو أنني كتبت هذه الحياة جزئيا ، بينما هم اكنفوا بعيشها لأنهم لا يمتلكون الأداة التي تسمح بذلك ، أو ربما لأسباب معقدة وحدهم يعرفون سرها "

1 - الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 313 .

قائمة المصادر والمراجع

1 - القرآن الكريم .

2- تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية وملامحها في الأدب العربي المعاصر .

3 - فيليب لوجون ، السيرة الذاتية والميثاق والتاريخ الادبي .

4 - عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية " بحث في تقنيات السرد .

5 - محمد بوزواوي ، معجم مصطلحات الأدب .

6 - ابن منظور ، لسان العرب ، دار لسان العرب ، بيروت ، مادة ترجم .

7- السيرة الذاتية في الأدب العربي ، فدوى طوقان ، جبرا ابراهيم جبرا وإحسان عباس نموذجاً تهاني عبد الفتاح شاكر .

7 - بدوي عبد الرحمان : الموت والعبقريّة .

8 - جورج ماي ، السيرة الذاتية .

9 - شرف ، عبد العزيز ، أدب السيرة الذاتية .

10- عبد الدايم ، يحي ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث .

11 - عبد اللطيف الحديدي ، فن السيرة بين الذاتية والغيرية في ضوء النقد الأدبي .

12- عبد النور جبور ، المعجم الأدبي .

13- عز الدين إسماعيل ، الأدب وفنونه .

14- قاسمية خيريه ، المذكرات والسير الذاتية الفلسطينية .

15- لطيف زيتوني ، معجم مصطلحات نقد الرواية ، عربي ، إنجليزي ، فرنسي .

16 - ماي جورج ، السيرة الذاتية .

17 - -محمد صابر عبيد : السيرة الذاتية الشعرية قراءة في التجربة السيرية شعراء الحداثة العربية .

18- محمد صابر عبيد ، تمظهرات الشكل السير ذاتي .

- 19- مصطفى الصاوي الجويني ، في الأدب العالمي ، القصة ، السيرة ، الرواية .
- 20- ليندة خراب ، تناص التراث الشعبي في الرواية .
- 21 - لوكاتش - جورج : الرواية التاريخية .
- 22 - الشمالي نضال : الرواية والتاريخ بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية .
- 23 - إبراهيم رزان : الرواية التاريخية ، الحوارية ، المونولوجية .
- 24 - عاطف غيث وآخرون : قاموس علم الاجتماع .
- 25 -الأعرج واسيني ، رواية مي ليالي إزييس كوبيا.
- 26 - الكريزي ، سبمى الحفار ، مي زيادة أو مأساة النبوغ .
- 27 - مبروك ، مراد عبد الرحمان ، (2002 م) جيوبوليتيكا النص الأدبي ، تضاريس الفضاء الروائي نموذجاً .
- 28 - عويس محمد ، (1988) ، العنوان في الأدب العربي النشأة والتطور أحمد الزغبي : التناص نظرياً وتطبيقياً .
- 29 - محي الدين النووي الشافعي ، الأذكار من كلام سيد الأبرار .
- 30 - محمد صابر عبيد : الذات الساردة سلطة التاريخ ولعبة المتخيل.
- 31 - الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 66 .
- 32 - الأعرج واسيني ، رواية سيرة المنتهى ، ص : 99 .
- 33 - جميل حمداوي ، السيميوطيقا والعنونة .
- 34 - أمل التميمي : السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر .
- 35 - محمد الصفراني ، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث .
- 36 - الأعرج واسيني ، شرفات بحر الشمال .
- 37 - الأعرج واسيني : هكذا تكلم ... هكذا كتب ...
- 38 - الأعرج واسيني ، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد .

- 40- عاشور شرفي : الكتاب الجزائريين قاموس بيوغرافي .
- 40 - حسين المناصرة ، وهج السرد (مقاربات في الخطاب السردي السعودي 10
- 41 - عمر منيب إدلبي ، سرد الذات (فن السيرة الذاتية) .
- 42 -Galisson R . et coste D. Dictionnaire de didactique des
langues . paris :Hachette ...(1976) .
- 42 - الزرقاني محمد عبد العظيم ،مناهل العرفان في علوم القرآن .
- 44 - -جانجي، موريس : السيرة الذاتية وإشكالاتها.
- 45 - -خالد الكركي : طه حسين روائيا .
- 46 - -دريد بن الصمة ، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ،دار الكتب العربية .
- 47- -ذحي إبراهيم عبد الدايم ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث .
- 48 - ساميا بابا ، مكون السيرة الذاتية .
- 49 - شعبان عبد الحكيم محمد : السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، رؤية
نقدية .
- 50- شوقي ضيف ، الترجمة الشخصية .
- 51-محمد صالح الشنطي ، فن التحرير العربي .
- 52- ندى محمود مصطفى الشيب : فن السيرة الذاتية في الأدب الفلسطيني (
- . (2002 – 1992) .